مقالات علمية

رقم 2

خلاصة في نقد الفكر الطبيعي

قراءة في كتاب "الطبيعة" مع مقالة في بناء الإنسان
عند بديع الزمان سعيد النورسي

تأليف الدكتور محمد خروبات

خلاصة في نقد الفكر الطبيعي

قراءة في كتاب "الطبيعة" مع مقالة في بناء الإنسان
عند بديع الزمان سعيد النورسي

سلسلة مقالات علمية نقدية شاملة ومفتوحة

✓ تأليف : الدكتور محمد خروبات
✓ الطبعة الأولى : مارس 2002م/محرم 1422 هـ
✓ الإيداع القانوني : 2002/0494
✓ الرقم الدولي المعياري للكتاب : 6-7-9584-9981
✓ الطبع : المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش

مقالات علمية
رقم 2

خلاصة في نقد الفكر الطبيعي

قراءة في كتاب "الطبيعة" مع مقالة في بناء الإنسان عند بديع الزمان سعيد النورسي

تأليف الدكتور محمد خروبات

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى

الدكتور محسن عبد الحميد

أمارة محبة وعربون تقدير

1- تقديم:

ضَمَّنَّا في هذا العدد – وهو الثاني من سلسلة "مقالات علمية" – (خلاصةً في نقد الفكر الطبيعي)، أطلقنا عليه صفة (خلاصة)لأنه مستل من عمل علمي واسع نعده تحت صيغة : (نقد العقل الطبيعي)، عجلنا بإخراج خلاصته للحاجة العملية الأكاديمية، وللرغبة المعرفية العقدية الشرعية، يحذونا الأمل أن نقدمها إلى طلبة العلم والمعرفة وإلى كل المهتمين بالفكر الطبيعي وبقضايا التصورات الباطنية، لكن قبل ذلك وبعده لابد من توثيق يربط هذا الإنتاج بمناسبته، نبني على هذا التوثيق وجهةً موضوعيةً، وطريقةً منهجية.

من **الناحية التوثيقية** فأساس هذه الخلاصةِ محاضرتان :

الأولى : قراءة في كتاب "الطبيعة" لبديع الزمان سعيد النورسي، أنجزت كبحث للمشاركة في أعمال المؤتمر المخصص لتقويم جهود بديع الزمان في تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، احتضنته كلية الآداب بالرباط بتاريخ 17- 18 من شهر آذار/مارس من سنة 1999م. تم الملتقى بالتعاون بين شعبة الداسات الإسلامية بالرباط ومعهد رسائل النور بتركيا، وكان موضوع المشاركة بعنوان : (النوسي وبناء فلسفة الذات: قراءة في كتاب الطبيعة) يمتد هذا البحث داخل هذا العمل من صفحة 17 إلى صفحة64.

الثانية : مقالة في (بناء الإنسان عند بديع الزمان)، أنجزت كبحث للمشاركة في أعمال ملتقى دولي عقد برحاب كلية الآداب بتطوان، خصص لموضوع : (هوية الإنسان المسلم : دراسات في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي)، تم الملتقى بالتعاون بين مجموعة البحث في الفكر والحضارة التابعة لكلية الآداب بجامعة عبد الملك السعدي بتطوان ومركز رسائل النور بإسطامبول (تركيا) عقد الملتقى بتاريخ 30-31 كانون الثاني / يناير من سنة 2001م، كان عنوان البحث هو (جهود بديع الزمان في بناء الإنسان)، يمتد هذا البحث داخل هذا العمل من صفحة..إلى صفحة...

ومن **الوجهة الموضوعية**، فالعمل برمته يعالج قضايا الفكر الطبيعي بصفة إجمالية، كما يتصدى لمعالجة إشكالاته ومداراته والتواءاته.. ويكشف فهرس المحتويات على أهم النقط والعناصر التي تشكل المقومات الأساسية للفكر الطبيعي..يتصدى هذا العمل لمعالجتها برؤية تحليلية يغلب عليها طابع النقد، لذلك وضعنا لهذا العمل عنوانا **أصليا** هو : (خلاصة في نقد الفكر الطبيعي).

وأما **الطريقة المنهجية** فالعمل على هذا المستوى ينقسم إلى قسمين معياريين : قسم في عرض الإشكال العام مع التحليل والمناقشة، والقسم الثاني في تقديم بديلٍ واقعيٍ وأصيلٍ، تشكل القراءة في كتاب الطبيعة مضمون القسم الأول، وتكون المقالة في بناء الإنسان محتوى القسم الثاني، لأجل ذلك وضعنا

لعملنا هذا عنوانا **فرعيا** تحت نعت : (قراءة في كتاب "الطبيعة" مع مقالة في بناء الإنسان عند بديع الزمان).

وقد اعتقدت أن هذا الإنتاج بشكليه الموضوعي والمنهجي يشكل في النهاية عملا علميا قابلا لأن يكون خلاصة مشروع علمي في (نقد العقل الطبيعي).

د . محمد خروبات

مراكش الحمراء بتاريخ 15 ذو الحجة 1423هـ،
الموافق لـ 28 فبراير من السنة الميلادية 2002 م.

2- مقدمـــة

كـتاب "الطبـيعة" في أصـله مذكـرة من مذكرات سعيد النورسي نشرت بكـتاب : "حقـائق الإيمـان "[1] ولأهميـتها طبعـت مسـتقلة في كـتاب بعـنوان "الطبيعة"[2] وهو الكتاب الذي نتوقف عنده.

هـذه الوقفـات هـي رحلـة من النوع المثير حقيقة، إنها رحلة مع بديع الـزمان النورسي في مناقشةٍ لواحد من أهم الموضوعات في الفكر البشري ألا وهو الفكـر الطبـيعي، وأعـتقد أنـه مـن المهمـات الأساسية للفكر الإسلامي المعاصر عقيدة وشريعة وفكرا.

إن الحديـث عـن "الطبـيعة" ومناقشـات النورسـي للفكـر الطبـيعي هو حديـث يجـرنا بالضـرورة إلى الحديـث عـن تاريخ هذا الفكر، ذلك أن حقيقة "الحالـة الطبيعـية" تظهـر في واجهـتين: الأولى في التاريخ، حيث في التاريخ كـان مـيلاد هـذا المذهـب، ربمـا لا أحد يعلم على وجه التحديد في أي سنة؟ وبـأي تقويـم؟ لكـنه في الـزمان كـان، قـد يكـون مع اليونان أو مع الشيطان، فالأمـران سيان. ولما كُنْتُ قد وَقَفْتُ عند تاريخ "الحالة الطبيعية" أو "المذهب الطبـيعي" حين وازنت بينه وبين خاصية الفطرة في التصور الإسلامي وذلك في

---

[1]- انظر(اللمعة السابعة عشرة) وهي بعنوان : (مذكرات في المعرفة الإلهية) نشرت في كتاب (حقائق الإيمان) ترجمة - احسان قاسم الصالحي- الأولى 1405هـ -1984 مطبعة العاني -بغداد العراق .

[2]- ترجمة احسان قاسم الصالحي مع عرض و تعليقات جيدة لأديب ابراهيم الدباغ-صدر في طبعته الأولى عام 1405هـ- الموافق لـ 1985م-مطبعة الزهراء -العراق.

كتابي "الفكر الإسلامي المعاصر- دراسة في التدافع الحضاري"[1]، فإنني سأبقى الآن مع الوجه الثاني للقضية وهو المتمثل في البنية، حيث في البنية تظهر الحقيقة الثانية لهذا المذهب، لكن البنية ذات دلالة جامدة تحتاج إلى تفعيل بالفحص، وبالفحص يتم فتح مغاليق جزئيات هذا المذهب..

دعونا نقول الآن أفكارا عامة نقدم بها الموضوع، تسجل هذه الأفكار أن "المذهب الطبيعي" هو أخطرُ فكرٍ نما وترعرع في أنحاء الأرض، قديما وحديثا.. صيغت منه تيارات فكرية ومذاهب عقدية ونظريات فلسفية هي من منظور "الفطرة" لها مقاصد مشتركة، ونقطُ التقاءٍ موحدة واليوم الذي هو عالم الحضارة والمدنية والتقدم يطل علينا العلم من كبوات مختلفة حيث يقدم نفسه على صفة البراءة والنفعية لكل العوالم.على صفة الاحترام المطلق للعادات والتقاليد والأعراف والعقائد والخصوصيات، والواقع أنه لم يسلم من المنحى الطبيعي إن لم نقل إنه يعكس في نظرياته وفي فحصه واختباره مناحي إيديولوجية لها صلة بالأفكار والآراء المتولدة من خصوصية هذا المذهب، وهذا يبين -في نهاية المطاف - أن الفكر الطبيعي دخل في كل تصور ، وانسجم مع جل المذاهب العاملة في حقل الفكر والفعل وإذا كان تأثيره في العلوم الطبيعية ظاهرا فإنه ترعرع ونما وتوالد بالفيض والصدور في أحضان العلوم الإنسانية[2]..

[1]- انظر الفصل الثامن من الكتاب-وهو من سلسلة المحاضرات رقم 1- صدر في ذي القعدة من سنة 1418هـ الموافق لـ 8 مارس 1998م.. مطبعة الإيياج بالبيضاء -المغرب

[2]- تكاد العلوم الشرعية تبقى حالة نادرة في هذا المجال لولا بعض القطاعات المعرفية التي تأثرت بشكل بليغ بهذا المذهب كعلم الكلام والتصوف والفلسفة الإسلامية، لكن الأصول بقيت سالمة ولله الحمد..

وأعتقد أن الأستاذ بديع الزمان النورسي - وهو أستاذ القرن-[1] عايش مظاهر هذا التيار في الحياة العامة، وكان رحمه الله على علم بنظرياته وعلى معرفة بأعلامه وعلى صلة بمصادره فتصدى للرد عليه.. وهو الأمر الذي سنعرض له في المباحث القادمة إن شاء الله.

[1]- عصر سعيد النورسي هو نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، ولد من أسرة كردية عالمة في قرية نورس من قرى ولاية "بتليس" في شرق الأناضول وذلك في سنة 1293هـ الموافق لـ 1876م، عُرف بقوة الحفظ والذكاء والشجاعة في قول الحق، حُكم وسجن مرات، ونُفي بسبب مواجهته للظلم وجهره بالحق، كان من الدعاة الفاعلين المتطلعين للتغيير والإصلاح، شارك في الجهاد ضد القوات الروسية الغازية مع كتيبة أطلق عليها لقب "الأنصار"، اشتهر بتأليف رسائل في موضوعات متفرقة سماها "رسائل النور" يتجاوز عددها 130 رسالة كتبت كلها في الفترة ما بين 1926م و1950م ، استطاعت هذه المؤلفات أن تنجح في تربية الشباب، كما كان لها صدى طيب في أنحاء العالم الإسلامي ولاسيما عند الدعاة والمفكرين والمصلحين، توفي النورسي رحمه الله في 25 من شهر رمضان سنة 1379هـ الموافق لـ 23 من آذار "مارس" من سنة 1960م.
(استفيدت هذه الترجمة من الدراسة الجيدة التي أنجزها الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه "من أئمة التجديد الإسلامي" ص 95 وما بعدها -طبع بالمغرب سنة "1407هـ- 1986م في طبعته الأولى").

3- النورسي ودواعي تأليف كتاب "الطبيعة".

3-1- تجربة النورسي: أكسبت الحياة التي عاشها النورسي، والتي تمتد في عمر يناهز ستة وثمانين سنة تجربتين متكاملتين: الأولى علمية، والثانية جهادية.

أ- التجربة العلمية: نعتقد أن نجاح النورسي في مهامه العلمية إنما جاء نتيجة ما يلي:

أولا: إيمانه العميق بالعقيدة الإسلامية، فقد كان لهجا بالتوحيد في مصنفاته كلها، مقرراً ومدافعا، وشارحا ومفسرا.

ثانيا: زهده وورعه وتقواه الذي نال منه حظا وافراً، سبيله في ذلك التربية التي تلقاها من أسرته التقية، وسلامة فهمه لنصوص الشريعة الإسلامية وارشادات الصالحين والزهاد والنساك.

ثالثا: إدارة الوجه عن شيخ الطريقة الصوفية، واستبداله بشيخ واحد هو "القرآن الكريم".

رابعا: نهله من العلوم الإنسانية بصفة عامة، ولاسيما الفلسفة المادية حيث يظهر أنه كان على معرفة جيدة بتاريخها وأعلامها وموضوعاتها ونظرياتها...

خامسا: إلمامه بنظريات العلوم الطبيعية، وقد ألف في بعض منها.

سادسا: نهله من المعين الصافي للعلوم الإسلامية التي حاز فيها على عنصر السبق ، تمكن منها بفعل حفظه وقوة استنباطه ، فقد استطاع أن يحفظ ما يقارب الثمانين من أمهات الكتب، وتألق رحمه الله في ميادين علمية محددة منها:

1- علم العقيدة بكافة محاوره وموضوعاته، والتوحيد والإيمان فيه بصفة خاصة.

2- علم الكلام الذي بدا فيه رائعا.

3- الفلسفة الإسلامية التي اطلع على مقالات أصحابها، وضرب فيها بسهم وافر.

4- اللغة الأدبية السليمة التي تقلب في علومها ومعارفها، يدلنا على ذلك حسن استخدامه للمجاز، بمختلف صوره وأشكاله، وقد ساعده على ذلك أنه كان يحفظ القاموس المحيط للفيروز آبادي إلى باب "السين".

5- الوعظ والإرشاد والتوجيه ، ويمكن القول أنه كان فيه إماما.

6- الدعوة إلى الله التي كان فيها رائدا، لا يكاد أحد في العصر الحديث فيما نعلم.

وأعتقد أن هذه الفنون كلها تتجسد في "رسائل النور" التي هي موسوعة علمية رائعة وجولات إيمانية فذة يجد فيها كل ظمآن إلى المعرفة

الشرعية حاجته، ويجد فيها كل ضال في دهاليز هذه الحضارة هدايته، إنها تخاطب الفطرة الطموحة إلى الاكتمال، كيف لا والنورسي قد استقاها من فيض نور القرآن الكريم لذلك سماها بـ "رسائل النور".

ب - التجربة الجهادية:

قضى النورسي ربع قرن تقريبا من حياته في نفي وسجن ومراقبة ومضايقة وتهديدات ومحاكمات.. والنورسي لم يكن من النوع الذي يجلس على أريكته بعد تلبية حاجات نفسه يرشف فنجان الراحة ويكتب على أوراق بيضاء بقلم سيال.. بل كان رحمه الله يكتب في ظل الاضطهاد والتردي والرِّدة، ومن هنا وجب النظر إلى مؤلفاته من زاوية أنها انعكاس لمعاناة متتالية.. والمعانات كما يقولون تولد الطاقات، والأزمات هي محك للرجال.. إن الرسائل التي تمت الإشارة إليها في "التجربة العلمية" كتبت كلها في المنفى، فقد نفي رحمه الله إلى مدينة "بارلا" وظن المعتدون أن أنفاسه ستخمد، وأن صيته سيتوارى، لكن الرسائل كانت قد وصلت إلى القلوب، وعانقتها العقول، ووجدت إقبالا كبيرا في تركيا حيث بدأت تُنسخ بالأيدي وتُوزع من أقصى تركيا إلى أقصاها.. ولم تكتف السلطات التركية التي هيأت مشروع العلمانية في أبشع صوره بمضايقة النورسي ورسائله في حياته بل عمدت إلى إخراج جثمانه بعد موته ودفنه في مكان مجهول..!

لم يكن النورسي مجاهدا بالقلم فحسب، بل كان مجاهدا في ساحة الوغى، فقد شكل مع طلبته فرقة جهادية تسمى بـ "الانصار" أمضى معهم وقتا في مقاتلة القوات الروسية المعتدية من جهة القفقاس ، وطيلة مكوثه في المعركة كان مدربا، ومعلما، ومربيا، ولم ينس خدمته للقرآن الكريم الذي كان يستخرج منه نكتا دقيقة، وإشارات بليغة، هذه النكت والإشارات هي التي كَوَّنَ بها تفسيره الذي سماه بـ"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"[1].

هذه التجربة المركبة من تجربة علمية وجهادية هي التي أعطت للنورسي شحنة قوية، وطاقة معنوية لخوض غمار الجدل والحوار، وقد أسدى لنا النورسي معلومة قيمة عن جهوده حتى اعترف بأنه كان في مجادلة مع طاغوتين، عَرَّفَهُمَا لَنَا فقال: **(إن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين وهما: "أنا" في الإنسان، و"الطبيعة" في العالم...)**[2]، وفعلا فإن النورسي كان يجمع في توافق وانسجام — وبكل نجاح — بين مناقشة جموح "النفس" وتمردها وزيغها ومناقشة المؤلهين للطبيعة الذين وقعوا في شركها وانساقوا في حبائلها ، وقد آليت على نفسي — في هذه المحاولة — أن أتوقف عند مناقشتي للطبيعيين بقراءة هادفة لكتابه في "الطبيعة" نسعى من خلالها إلى تقريب أفكاره وبسطها ومناقشتها والاستفادة منها في معالجة الظاهرة الطبيعية

[1]- انظر ص 15 من مقدمة كتاب "المثنوي العربي النوري"، وهو نص كامل لاثنتي عشرة رسالة تحقيق إحسان قاسم الصالحي، "الطبعة الأولى 1408هـ-1988م". مطبعة الزهراء-العراق.

[2]- انظر ص 28 من المصدر السابق.

التي مازالت تخيم على الحضارة الإنسانية المعاصرة.

وقبل ذلك لابد من معرفة: دواعي تأليف هذا الكتاب حتى نربط الوسائل بالغايات.

3-2- دواعي تأليف كتاب "الطبيعة"

لاحظ النورسي باستقراءٍ عامٍ أن الملايين من البشر في هذا العصر — والذي قبله — وقعوا في شرك "الطبيعة" وانحبسوا في حبائلها ووضعوا أرواحهم في أقفاصها، حتى راحوا في النهاية يعبدونها بطريقة وثنية، تارة بصفة مباشرة وتارة بصفة غير مباشرة، ومن مظاهر هذه الآفة أنهم نسبوا لسنن وقوانين الطبيعة ما ينسبه المؤمنون بالله لله من صفات الخلق والإيجاد والعلم والحكمة والقدرة.. كانت النتيجة إذاً أن الطبيعة وقفت حائلا بين الإنسان وخالقه بحيث حولت إليها كل صفات التبجيل والتعظيم والجلال..

لقد استولت "الطبيعة" على عقل الإنسان استيلاء مطلقا، وامتصت إيمانه امتصاصا تاما، بحيث أصبح خاوي القلب، صلب الطبع، وأصبح عقله عقلا آليا، ميكانيكيا، لا يحس بالتوافق مع الكائنات المحيطة به، ولا بالانسجام مع روحه وكيانه، ولا بالالتئام مع بعضه البعض.. كائن تائه مهجور.. يحمل معاول الحفر في هذا الجانب حتى إذا اعياه ذلك ضرب في موطن آخر... يعكس الحيرة، والدهشة، والشك المتهور، والاضطراب والشقاء الروحي الحاد.

وكان الذي حز في نفس النورسي هو أن يرى شباب الأمة من طلبة المدارس والمعاهد والجامعات يقعون في فخ هذا المذهب الجارف، لقد ظنوا ظن السوء أن ما يشاهدون من مظاهر الخلق والايجاد والاحياء إنما هو من فعل "الطبيعة" لا من خلق الله ،وهذا التصور يفضي لا محالة إلى القضاء على الاعتقاد، وإذا قُضِيَ على الاعتقاد قضي على الإسلام.. وهو ما يراد فعلا لبلد كتركيا التي تعاني من تفسخ خطير سماه النورسي في خطابه إلى مجلس الأمة بـ"الانقلاب العظيم"[1] ، ولندع النورسي يوجه كلمته إلى شباب الأمة الإسلامية كلها، وذلك من خلال تحذيرٍ وجهه إلى شباب تركيا يحذرهم فيه من الانجراف جهة أوربا وعاداتها وأنماط فكرها يقول: **"فيا شبان الترك، فهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوربا معكم، وعداوتهم لكم تتبعونهم في سفاهاتهم بل تلتحقون بصفهم بلا شعور؟... ألا إنكم تكذبون في دعوى الحمية، إذ هذا الاتباع استخفاف بالملية، واستهزاء بالملة، هدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم"**[2].

[1]- راجع نص الخطاب في الرسالة الخامسة -كتاب المثنوي العربي النوري- ص 199، وهذا الخطاب كان الأستاذ سعيد قد ألقاه قبل إلغاء الخلافة بسنة.

[2]- المثنوي العربي النوري ص 272.

ان هذه الصيحة ليست صيحة الخوف من وقوع الشباب في هذا المذهب الذي تَصَدَّر من أوربا، ولكنه يخاطب الشباب الذي وقع فعلا في شرك أوربا، في شرك إلحادها وقلبها للقيم، في شرك العلمانية وطمس الهوية والتراث.. وأكبر خطر هو تمزيق جسد الأمة المتوحدة باسم "الخلافة الإسلامية"، وقد رأى سعيد أن سموم هذا المذهب الأوروباوي بدأت تسري في جسد الأمة ، تُستنشق كما يُستنشق الهواء، وتشرب كما يُشرب الماء، ولما كان داعية العصر، عالم الوقت بادر إلى التأليف في "الطبيعة"، توجه فيه أساسا إلى تفنيد دعاوى الطبيعيين، واستطاع أن يؤكد بمحاولاته العقلية ومداراته المنطقية وتحليلاته المنهجية القائمة بأساليب العلم نفسه، مستخدما في ذلك تجربته في محاورة طبيعيي عصره، ومبلوراً للخبرة التي اكتسبها من مدارسة العلوم الطبيعية أن سنن الطبيعة وقوانينها، وما يتراءى للعقل من قانون السببية هو من صنع الله الخالق الفاطر، القادر... وهو بهذا كان يهدم شبهة ليثبت حقيقة، ويفند معتقدا مفضيا إلى الشرك ليثبت مكانه معتقدا مفضيا إلى الإيمان... وحتى يكون ما قلناه قد رام مقصد العنوان الفرعي الذي نعالجه ندع النورسي يتكلم لنا بنفسه عن الحافز الأساسي الذي حركه لتأليف هذا الكتاب يقول:

"دعيت لزيارة أنقرة سنة 1338هـ - 1922م وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي إلا أنني أبصرت خلال موجة الفرح هذه زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر وتتسلل بمفاهيمها

الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها.. فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثا بالله العلي القدير ومعتصما بسور هذه الآية الكريمة "قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض[1]"، من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن ينقض على أركان الإيمان ويُعمل معاوله في أسسه وأصوله، فجئت – ضمن هذه الرسالة – ببرهان قوي حاد قاطع يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها، وقد صنفتها بالعربية واستقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة لإثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته، وقد طبعتها في مطبعة "يني كون" في أنقرة... إلا أنني لم ألمس آثار البرهان الرصين في مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس، وسبب ذلك – على ما أظن – كونه مختصرا ومجملا جدا فضلا عن قلة الذين يتقنون العربية في تركيا ونذرة المهتمين بها آنذاك، لذا فقد انتشرت أوهام ذلك الالحاد واستشرت في صفوف الناس مع **الأسف الشديد**[2] مما اضطرني إلى إعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية مع شيء من البيان والتوضيح، فكانت هذه الرسالة..

[1]– الآية 13 من سورة إبراهيم.

[2]– التشديد من عندي.

ولما كانت بعض أقسام تلك البراهين قد توضحت توضيحا كافيا في بعض "رسائل النور"[1] فسنذكرها هنا مجملة، كما أن البعض من البراهين الأخرى المبثوثة في ثنايا رسائل أخرى تبدو مندرجة في هذه الرسالة"[2].

ثم يوافينا بسبب آخر لا يقل أهمية عما سبقت الإشارة إليه غير أن هذا هو أشد إلحاحا إلى تأليف كتاب "الطبيعة" يقول: "إن الداعي الأشد إلحاحا إلى تأليف هذه الرسالة ما لمسته من هجوم صارخ على القرآن الكريم، والتجاوز الشنيع على الحقائق الإيمانية بتزييفها، وربط أواصر الالحاد بالطبيعة وإلصاق نعت"الخرافة" على ما لا تدركه عقولهم القاصرة العفنة... وقد أثار هذا الهجوم غيظا شديداً في القلب ففجر فيه حمما تسربت إلى أسلوب الرسالة فَأَنْزَلْتُ هذه الحمم والصفعات على أولئك الملحدين وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق، وإلا فليس من دأب "رسائل النور" إلا القول اللين في الخطاب والرفق في الكلام"[3].

هذه هي الدواعي التي حرّكت في النورسي فكرة تأليف "الكتاب"، ودفعت به إلى خوض غمار هذا الموضوع الوعر.. لاشك أنها أنارت لنا سبيل

[1]– التمثيل على هذه الحالة بشواهد من رسائل النورسي كثير جدا، فالنورسي يتعرض كثيرا لشبهات الطبيعيين بالنقد والدحض، ويعرض في المقابل براهين كثيرة وأدلة وافية لإثبات نقيض دعاوى الطبيعيين، وسنعرض لبعض الحالات في المباحث القادمة.

[2]– ص 8 من كتاب "الطبيعة"، وهو المصدر المعتمد.

[3]– المصدر المعتمد.

المقصد، وأضاءت جوانب هذا الكتاب حيث يصبح التعامل معه الآن أيسر وأسهل.. وهذا ما سنحاول القيام به في المبحث الموالي.

4- مستويات التدرج في (الحالة الطبيعية).

عند النظر في الكتاب يتبين أن النورسي يناقش الطبيعيين على ثلاثة مستويات:

- **المستوى الأول (الطبيعي) في المرحلة الطبيعية المحضة.**
- **المستوى الثاني (الطبيعي) في المنزلة الوسطى.**
- **المستوى الثالث (الطبيعي) في مرحلة الاعتقاد.**

والباعث على هذا التقسيم هو نوع الشبهات والأدوات يتسلح بها الطبيعي ويبني عليها آراءه، ويشيد فكره، فكل مستوى تناسبه أطروحات معينة، وعند النظر يتبين ذلك.

4-1- المستوى الأول : (الطبيعي) في المرحلة الطبيعية المحضة

وهذه المرحلة هي مرحلة ما قبل المرحلة الوسطى من الإيمان حيث يكون الطبيعي فيها غارقا في أوحال الطبيعة متأثرا بمظاهرها، لذلك فهو دائما يبني فكره على تأثيرها، ويشيد نسق تصوره في ضوء معطياتها، وأمامنا أربعة أطروحات نخالها أساسية في التصور الطبيعي بصفة عامة وهي:

4-1-1- نقد قولهم: "إن الأشياء أوجدتها الأسباب"

هذا قول يفيد أن أسباب العالم تجتمع لتخلق الموجودات وتوجدها، ومن ثم تتشكل الأشياء، وهذا القول الذي أصبح شائعا فَنَّدَه النورسي بمحالات كثيرة كلها تدحض القول بـ (الصدفة) ومن المحالات التي اختارها مثال **الصيدلية** التي تحتوي على مضاداة حيوية للسموم، هذه المضاداة تمت وفق مقادير معينة ومحسوبة بحيث لو زادت أو نقصت لبطل مفعول المستحضر المضاد للسموم، فهل يمكن أن يتصور عاقل أن ذلك المعجون تَمَّ من جراء مصادفة غريبة؟ أو أن زلزالا عنيفا تسبب في اصطدام العقاقير فحدث ذلك المعجون؟.

إن القول بأن "الأسباب أوجدته" هو قول باطل وبعيد عن موازين العقل بمثل بُعدِ وبُطلان ومُحالية تَكَوُّن المعجون الحيوي بنفسه من سيلان تلك المواد من القناني، ويحكم النورسي على الطبيعي القائل بهذه المقالة بأنه شقي حين يتوهم "أن هذه الموجودات هي نتاج عناصر الكون الكلية"، أو هي "من شؤون طبائع المواد" أو "من عمل الأسباب المادية"[1]

وبعد مُحال الصيدلية ينتقل النورسي إلى محال ثان –وهو دائما في تفنيد هذه الدعوى– إلى محال الذباب والكون ، فقول الطبيعيين يجعل من الكون حضرةً خالقةً متصرفةً لمَّا أراد خلق ذبابٍ مثلا استنفر عناصره

[1] الطبيعة، ص 15-16.

واستحضر جنوده ليخلق ذبابا بتلك الصنعة الهائلة، والدقة المتناهية.. فلما استحال ذلك استحال الإيمان بتلك الدعوى، وهي صورة خيالية غاية في السطحية والسذاجة لِمَا يمكن أن نتخيله من أن الكون خلق على الأقل ذبابا..

وبعد هذا المحال يعطي محالا ثالثا: وهو محال **الواحد والوحدة**، فالقاعدة البدهية تقرر "أن الواحد لا يصدر إلا عن الواحد"، فلما كان الوجود في غاية الانتظام والانسجام والتوازن وفي منتهى الدقة والإتقان وعلى صورة جميلة من حيث الإبداع دل كل هذا على أنه لم يصدر من أيدٍ متعددة، ومعلوم أن تعَدُّد الأيدي هو مدعاة للاختلاف والمنازعة[1]، ومن ثَمَّ يسقط ما يدعيه الطبيعيون من أن الأسباب المادية هي التي خلقت وأوجدت، فالأسباب كثيرة، وكثرتها هي في الاختلاف والتضاد، ولو استطاعت أن تخلق لذهب كل سبب أو كل "جملة من الأسباب" بوحدة في الخلق وهذا مناف للوحدة في الخلق.

هذه المحالات الثلاثة هي محالات متناسبة ومتناسقة، أي أنها تتناسب فيما بينها لتفنيد الدعوى، وتتناسق فيما بينها في نسق واحد هو نسق فكر النورسي المتسلسل بفكر فلسفي عميق، كل محاولة استهدفت ناحية معينة، فمحال الصيدلية استهدف دحض نظرية الصدفة التي سيبني عليها

[1]- مصداقا لقوله تعالى "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون" الآية 21 من سورة الأنبياء.

الطبيعيون القول بتشكل الوجود، والمحال الثاني استهدف دحض نظرية السببية في صيغتها السطحية المقدمة من قبل الطبيعيين وذلك حين تكون للأشياء القدرة على الخلق بعنصر السبب، المحال الثالث استهدف دحض الكثرة والتعدد في صيغتهما الساذجة عند الطبيعيين وذلك حتى تكون الأسباب متعددة وكثيرة وعن هذه الكثرة يكون الواحد!.

4-1-2- نقد قولهم : "إن الشيء تشكل بنفسه".

هذا قول ظاهر البطلان، وقد فنده النورسي رحمه الله بمحالات كثيرة، نستطيع أن نعتبر كل محالٍ من محالاته نظرية كاملة ومتكاملة.

أ- **نظرية الحركة والثبات:** من منطلق هذه النظرية يتقدم النورسي لتفنيد هذه الدعوى، فإذا كان الإنسان قد اكتشف الكيمياء في خارجه فإنه ككائن بيولوجي شاهد على نفسه بعملية الخلق المتجسدة في ذاته... إن ذاته هي ملايين من الذرات العاملة في الجسم، فذات الإنسان معمل حي متحرك لكنه في ثبات صورة الجسد... ثم إنها ثابتة بعمل مستمر.... فهناك حركة الذرات العاملة النشيطة المتحركة الساهرة على حفظ سير التفاعل ودقة انتظامه، وهناك في المقابل ثبات على صورة معينة، بعمل منهجي معين، وهذا لاشك أنه ينقض القول بوجود الأشياء من مادة بسيطة جامدة تأبى التغير، خاضعة لنفسها بنفسها من دون ذات هي أكبر منها ومن دون عين ترى ما لاتراه العين المجردة.

ب- نظرية بناء الذات: إن ذات الإنسان هي بناء هندسي متكامل، متناسق ومنسجم، يُشَبِّهُهُ النورسي بالقصر الفخم العامر الذي يحتوي على القُبَابِ الكثيرة، كل قُبة فيها ما فيها من الأحجار المتراصة ببناء محكم... ووجود الإنسان هو أحسن من هذا القصر الباهر، ولو تأمل الإنسان في روحه وحدها لأدركها معجزة بحد ذاتها..

إذا كانت هذه الروح منقادة إلى ذرات الجسد، وسَلَّمْنَا بأن كل ذرة من الذرات لها عقلها المدبر والمفكر، ولها ارادة حرة تتصرف بها بخلاف بعضها فإننا يقينا لا نحصل على هذا البناء الخارق والعجيب... إن هذا كله لا يمكن أن يكون إلا أثرا بسيطا من آثار الواحد الأحد، هو الله سبحانه.

ج- نظرية الكتاب: لندع النورسي يقدم لنا هذه النظرية بأسلوبه وبطريقة تحليله، يقول: **"إن لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الأحد، القدير الأزلي، وكان مطبوعا بمطابع الطبيعة والأسباب فيلزم عندئذ وجود قوالب طبيعية بعدد ألوف الألوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك، والتي لا يحصرها العد، ابتداء من أصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية وانتهاء بأوسع الأجهزة العاملة فيه ولفهم هذا المحال نأخذ الكتاب الذي بين أيدينا[1] مثالا، فنقول: إن اعتقدت أن هذا الكتاب مستنسخ باليد، فيكفي إذاً لاستنساخه قلم واحد، يحركه علم كاتبه ليدون به ما يشاء، ولكن إن لم**

[1]- يعني كتاب "الطبيعة".

تعتقد أنه مستنسخ باليد، ولم يسند إلى قلم الكاتب، وافترض أنه قد تشكل بنفسه، أو أسندت كتابته إلى الطبيعة، فيلزم عندئذ أن يكون لكل حرف من حروفه قلم معدني خاص به، ويكون عدد الأقلام بعدد تلك الحروف "بمثل وجود الحروف المعدنية في المطبعة والتي هي بعدد الحروف وأنماطها"، أي يلزم وجود أقلام بعدد الحروف بدلا من قلم واحد للاستنساخ، وقد يكون هناك في تلك الحروف حروف مكتوب فيها ما في صحيفة كاملة فيلزم إذاً لكتابة مثل هذه الحروف الكبيرة ألوف الأقلام الدقيقة.

والآن، ماذا إن كانت تلك الحروف متداخلة بعضها بالبعض الآخر بانتظام كامل متخذة هيأة جسدك وشكله...

فيلزم عندئذ أن يكون لكل جزء من أجزاء جسمك، وفي كل دائرة من دوائره المذكورة قوالب عديدة بعدد تلك المركبات التي لا يحصرها العد!!.

هب أنك تقول لهذه الحالة المتضمنة لمئة محال في محال إنها ممكنة الحدوث!.

فحتى في هذه الحالة -على فرض إمكانها- أفلا يلزم لصنع تلك الأقلام وعمل تلك القوالب والحروف المعدنية أقلاما وقوالب وحروفا بعددها لتصب وتسكب فيها إن لم يسند صنعها جميعا إلى قلم واحد؟. ذلك لأن جميعها مصنوعة ومحدثة، ومفتقرة إلى صانع ليصنعها، ومحدث ليحدثها، وهكذا الأمر يتسلسل كلما أوغلت فيه، فتدخل بهذا دائرة مقفلة

من "الدور والتسلسل" "كما أبطله وفنده علماء الكلام"، فافهم من هذا مدى سقم هذا الفكر الذي يتضمن محالات وخرافات بعدد ذرات جسمك!.

فيا معطل عقله... عد إلى عقلك وانبذ هذه الضلالة المشينة"[1].

وهذه أيضا محالات أو نظريات متناسقة كل واحدة تؤدي إلى الأخرى، لقد اختار لها النورسي "ذات الإنسان"، ولما كان الطبيعيون من بني البشر كان اختيار جسم الإنسان أقرب إلى الإنسان، لأن الإنسان لا يحس إلا بما هو ألصق به، وأقرب إليه "وضرب لنا مثلا ونسي خلقه"[2]. ولقد لاحظنا كيف تظافرت جملة من التشبيهات والأوصاف للإنسان في ذاته، فهو تارة معمل كبير ضخم تتحرك فيه الذرات بكيفية منتظمة، أدى هذا الوصف إلى تقعيد نظرية "الحركة والثبات" في جسم الإنسان، وهو حينا بناء ضخم مشيد تشييدا محكما بفاعلية الواحد في الكثرة، أدى هذا الوصف إلى تقعيد الوحدة في جسم الإنسان، وهو في طور آخر كتاب عظيم شاخص للعيان، بحكمه وعِبَره، ظاهر بآيات إعجازه لا كما يقولون إنه مطبوع بمطابع الطبيعة والأسباب...

[1]- الطبيعة ص 28 - 29

[2]- الآية 77 من سورة يس.

4-1-3- نقد قولهم : "إن الشيء أوجدته الطبيعة".

هذا من تأثر الطبيعيين بسحر الطبيعة، فالطبيعة تبدو في الظاهر قوة مؤثرة، فاعلة في الحياة، لكنها ليست هي القوة بحد ذاتها، وليست هي الحياة في حد ذاتها، ولم يرق الطبيعيون بتصوراتهم إلى ما هو أسمى من الطبيعة، وما هو أعلى منها حين أسبغوا بعض صفات "الله" تعالى على الطبيعة المسخرة من مثل: الحياة والعلم والحكمة والإرادة والخلق والإيجاد، ولعل السر في ذلك يكمن في تأثرهم بالقريب المحسوس وبتشبثهم بالمحيط الملموس، وهذا لا ينفك أن يكون سلوكا طفوليا ساذجا حين يجعل الطفل من الملموس والمحسوس كل شيء في وجوده ، و يشبه سعيد "الطبيعيين" بالأطفال من هذه الناحية، فهم "شيئيون" تستولي عليهم الأشياء وتغرقهم في مظاهرها الجذابة، وتسد عليهم منافذ البصيرة والإدارك، يعطون للمس قيمة تدغدغ شهوة "المعرفة الحسية".. من منطلق هذا التصور يقدم النورسي لتفنيد هذه الدعوى بثلاثة محالات:

– المحال الأول يتناول فيه على الإجمال صلة الطبيعة بالخالق، ويمثل لعنصر الصلة بثلاثة أمثلة:

1- يختار في المثال الأول **حفنة من التراب تنبت أزهاراً**، فللطبيعي أن يعتقد في هذه الحفنة صفة الخلق والإبداع والتناسب والتوازن، تصبح هذه الحفنة بحد ذاتها هي الإله الخالق لتلك الأزهار، ثم أنى لها أن تستجيب

لولادة أزهار العالم كله، بمختلف أشكالها وروائحها ، "فيلزم صاحب الطبيعة–يقول سعيد– إيمان بالحس الفني والجمالي لهذه الحثيات من التراب"[1].

... وفي سياق كلامه عن المحال الأول يأتي النورسي بأمثلة متعددة، وبشواهد كثيرة كلها تسلك في الموضوع الواحد وتوجه توجيه الإعجاز العلمي الباهر، بأسلوب جذاب، وبتحليل رصين، وبأفكار محددة مهما تعددت الأمثال، ومهما تنوعت أساليب الإستشهاد فإنك لا تحس بالإنتقال خارج الموضوع.. بل بالعكس إنك تحس بالوحدة الموضوعية، والإتمام إلى غاية الإقناع، وحين يحس النورسي بأنه وصل إلى مرحلة الإقناع التي هي من القوة بمكان يتقدم بأسئلة إلى الطبيعي الشيئي... أسئلة هي من جنس ما يخامره، ومن قبيل ما يتراءى له في الموضوع المعاين، ثم قبل أن يتركه شاردا في البحث عن الجواب يقدم له الجواب الكافي والمقنع، ثم من منطلقه يمر به إلى المثال الثاني.

2- في المثال الثاني **يمثل للطبيعة بالجندي و رب الطبيعة بالسلطان**، فالجندي يسخر آلاف من الناس في تسيير شؤون الحكم، ويحمل شارة تمكنه من التصرف بحرية في إصدار الأوامر، والناس على هذا المقتضى تمتثل لأوامره، وتذعن لقراره، وهو لا يفعل هذا بمحض قدرته، ولا بمطلق إرادته، وإنما بقوة الإنتساب إلى السلطان، فمن السلطان يستمد الشرعية في ذلك، وإذا

[1]– ص 33 من كتاب الطبيعة.

انقطع حبل هذا الجندي عن تأييد السلطان له لا يكون كما كان بل يصبح شخصا عاديا، لا يملك حولا ولا قوة... تلك هي وضعية الطبيعة أمام قدرة الله، إنها تستمد شرعيتها من الله، وقوتها من قوته، ووجودها من خلقه، وفعلها من إرادته فهي مفطورة على هذا التكون، ومجبولة على هذا التشكل، فإذا اقتضت شيئا فباقتضاء الخالق اقتضت، ومن هنا يخلص النورسي إلى فكرة مفادها: "**أن تسليم أمر كل موجود وتنسيبه إلى واجب الوجود سبحانه فيه السهولة التامة بدرجة الوجوب(...) أما إسناد إيجاده إلى الطبيعة فهو مُعْضِلٌ إلى حد الإمتناع، وخارج عن دائرة العقل**"[1].

3- يقدم النورسي في المثال الثالث مثالين أو لنقل إن المثال الثالث مركب من مثالين: الأول يختار له **قصرا**، وفي القصر كتاب يضم هندسة متكاملة عن بناء القصر، حينما يدخل إنسان بدائي التفكير لا يملك أي تصور حضاري مسبق يتيه وسط جمال القصر وبهائه، حيث تشده براعة البناء ونقوش الجدران وبراعة الإتقان، يتعثر تصور الإنسان داخل القصر حين يعتقد تارة أن الباني موجود في داخل القصر، فيذهب مفتشا محتارا، وتارة يعتقد بأن البناء بنى نفسه بنفسه، وفي خضم هذا التيه وزحمة التصورات يعثر فجأة على كتاب يضم في ثناياه هيكل القصر وخريطته العامة، حين يقارن بين ما في الكتاب وما عليه القصر يجد التطابق تاما بين محتويات الكتاب وصورة القصر ومجاميع أشياء القصر، من هنا ينقدح في ذهنه معتقد آخر هو "أن هذا الدفتر

[1]– كتاب الطبيعة ص 40.

هـو الذي شيد هذا القصر ونظمه وزينه، وهو الذي أوجد الأشياء فيه ورتبها هذا الترتيـب ونسـقها هـذا التنسـيق"[1]، فالقصـر هـو قصر العالم العظيم ، والإنسان الـتائه هـو "الطبـيعي"، "السـببي"، الـذي يدخـل بعقلـه إلى سـاحة التفتـيش والـتحري والإسـتقراء والتـلمس، والكـتاب أو الدفـتر هـو مـا استطاع أن يكشفه الإنسـان مـن قوانـين الطبيعة وسنن الوجود، وأنه حين طابق بين ما وقف عليه مـن قوانـين الطبـيعة ومـا علـيه الطبـيعة أخلط بين "البناء" و "هندسة البناء" فـزعم أن (خارطـة البـناء) هـي(البناء) وأضفى على (خارطة البناء) قدرة خالقة "للبـناء" وقدرة مبدعة له في حين أنها لا تعدو أن تكون صورة للبناء، وهيكلته، وقانونه، فمن وضع هذا القانون الذي بموجبه كان البناء؟ وهل فرق الطبيعي بين الأمرين ليبحث عن طرف ثالث هو الموجد والباني؟

إن الوجود والطبيعة قامتا على "الحكمة"، ونهضتا عليها، الحكمة التي نقـرؤها في الكـون كله، ونلمسها جلية واضحة في الطبيعة بأسرها، والحكمة لها معـنى معـين منبثق من نفس "الحكيم" وليس لها وجود خارجي مستقل، فهي ليسـت بمـادة ولا جسـما يحتل حيزا في هذا العالم، وظن الطبيعيون أن الحكمة هـي المـادة في نفسـها، ولذلك أضفوا على المادة صفة معنى الحكمة، لقد أخطأوا حيـنما توهمـوا القوانـين المعـنوية الـتي تربط أنظمة الكون والنابعة من"الحكمة" قوانين مادية لها ذات مستقلة، فأسقطوا هذه "المعنويات" على ماديات الطبيعة وقوانيـنها، وسـنُّوا لها الحكمة، واستتبع ذلك بداهةً أن يتوهموا لها عقلا وعلماً وحياة وإرادة، وبذلك " ألَّهُوا" الطبيعة، وأصبحوا من عُبَّادِهَا المخلصين.

4-1-4- نقد قولهم : بـ"صـراع الطبيعـة":

هـذه أطـروحة فرعـية توقف عندها النورسي حينما لاحظهم يقولون بـ "الصـراع مع الطبيعة"، وهو توقفٌ عَلَّلَ الأسباب الداعية إلى ذلك، والبواعث المحفـزة للعقـل الطبـيعي عـلى القـول بذلـك، فانطلاقـا ممـا مضـى تصـبح "الطبـيعة" هـي المتصـرفة بذاتهـا، وهي الخالقة والحكيمة، ولما كانت كذلك هابهـا الطبيعـيون، وهابوا غضبها وانتقامها وتقلب أحوالها، وأعتقد أن هناك نظـرية طبيعـية في تـاريخ الأديان تفسر ظهور الدين والإعتقاد في الغيب بسبب قهـر الطبيعة وغضـبها عـلى الإنسـان، فراح الإنسان — وهذا ما وقع لليونان وغـير الـيونان مـن عـبدة الأوثـان — ينحتون من ماديات الطبيعة تماثيل تعبد كآلهـة عـلى صـفة معينة، كل إله مخصوص بقضية من قضايا الطبيعة : إلاه الـرعد، وإلاه المطـر، وإلاه الـرياح، وإلاه الـزلازل... فتقلـب أحـوال الطبيعة شـغلت الإنسـان، وشـدته فـلجأ إلى"آلهة طبيعية" يحتمي بها، ويرتكن إليها لتقيه من غضب الطبيعة ومن شرها ... غير أن الإنسان المتحضر طور فكره في صـيغة الصـراع معهـا لأجـل قهـرها وترويضها[1]... وهذا تصور منحرف اشتط بهـم بعـيدا عن الحق والصواب، والواقع أن "الطبيعة" ليست كما يتصورون،

[1]- تكلمت كثيرا في هذا الموضوع في مواطن متفرقة من كتاب "الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في الـتدافع الحضـاري". راجع مقتضيات الفصول الآتية -الفصل الثالث- الفصل الخامس - المبحث الـثاني من الفصل التاسع. وخصصت له مبحثا مستقلا في الفصل الثامن من الكتاب- أنظر المبحث الأول من الفصل الثامن: (الطبيعة والفطرة).

ولا هي كما يزعمون فليس وجودها على نفس الوجود الذي يتصورونه ،ولا فعلها هو نفس الفعل الذي يؤمنون به ،فالطبيعة ليست هي "الإله" ولا هي "شريكة للإله" في فعله وقدرته وحكمته وإرادته ، إنها من صنع صانع ، وفيها قوانين بثها القادر فيها، تُسَيِّرها وتَتَحَكَّمُ فيها، من وقف على هذه الأسباب واطلع عليها وصل .. و(العلم) اليوم هو وحده القادر على ذلك ، لكن على (نظرية العلم)ألا تخلط الأوراق وتعبث بالتصور .. "الطبيعة" منفطرة منفعلة وليست فاطرة فاعلة (أفي الله شك، فاطر السموات والأرض)[1].

4-2- المستوى الثاني: الطبيعي في المرحلة الوسطى.

هي وسط بين الإلحاد والإعتقاد، فيها الإعتقاد و الإلحاد أيضا، ولا يمثل الإعتقاد أمام الإلحاد إلا نزرا يسيرا سرعان ما يتلاشى أمام المعتقدات الوافدة من المرحلة الأولى، فالطبيعي صعد إلى المرحلة الثانية لكن بعقلية الأولى، فبراثين وسموم المرحلة الأولى مازالت تُخَيِّمُ على معتقده ، فهو معتقد – من منظور الإيمان– غارق في الشرك، حيث يصبح الطبيعي إثنيني الإعتقاد، يعتقد في الله ويعتقد معه غيره.

[1]- الآية 13 من سورة إبراهيم.

4-2-1- الإثنينيون طبيعيون :

يتصدى النورسي للرد على الإثنينيين حيث يقدم أدلة وافية وأمثلة شافية لدحض شبهتهم، فكثير من هؤلاء يعتقدون بوجود الله غير أنهم يشركون معه غيره، فهم يعتقدون بأن هناك إلها في السماء، لا تدركه الأبصار، له عمل الخلق والإيجاد والإنشاء، وهذه جميعا من أخص خصائص الربوبية والألوهية، ثم إنهم يعتقدون في الأرض إلها آخر، أو آلهة ، هاته الآلهة تدركها الأبصار وتخضع للحس والتجربة، وهذا الإلاه هو "الطبيعة" .وهذه الإثنينية تدنس معتقد التوحيد وتلطخه، وذلك بعلامات منها:

أ- تعدد الأفعال الخالقة.

ب- إضفاء صبغة التناقض على الفعل، فكل إلاه له إرادة ومشيئة وقدرة.

ج- التجزيء في الذات حين يعتقد أن هناك آلهة متعددة.

يتصدى النورسي لهذا التصور بمجموعة من الأمثلة منها مثال **الساعة** التي رتبها الساعاتي وحدد عقاربها وضبط أرقامها وصنع محركها لتتحرك بدقة متناهية، ولتدل على الوقت بانتظام وانسجام، فالساعة كعالم الطبيعة مكونة من أجزاء دقيقة ومن غير المعقول أن نضفي على كل جزء صفة الألوهية والربوبية، فإذا تسنى لعقل الإثنينيين أن يقدس الطبيعة وأجزاءها فهذا مسوغ لتقديس الساعة وأجزائها ،فالساعة تدل على الساعاتي كما لا يدل الكتاب المؤلَّف من حروف على المطبعة بل يدل على الكاتب، فالقول السابق يوقع في

الشرك لا محالة، فالله الخالق يأبى أن يشاركه أحد في سلطانه ،ولم تشأ قدرته أن تخلق من يخلق كخلقه ويوجد كوجوده ليشاركه في ملكه ، ولما كان الأمر مستحيلا على هذا الشكل استحال على المؤمن بالله أن يعتقد مع الله إلها آخر، والحكم فيه وصل إلى حد الصرامة وزيادة "لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين"[1] كيف وأن السلطان البشري لا يقبل أن يتدخل غيره في شؤون ملكه، ولا يرضى أن يشاركه غيره في شؤون سلطنته حتى وإن كان ابنه أو أبوه، فكيف يسوغ ذلك في حق الله تعالى؟.

على هذا الأساس يقول النورسي : **"تسقط جميع فرضيات "الطبيعة" ولا يبقى إلا الإيمان بأن الصانع ذا الجلال–وهو القادر على كل شيء– هو نفسه خالق الأسباب، وخالق المسببات، وهو الذي يربط المسببات بالأسباب بحكمته سبحانه، وقد عين بإرادته طبيعة الأشياء، وجعلها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر عليها الكون، والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون، وقد أوجد بقدرته وجه" الطبيعة" وجعل الأرضية التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي الوجود، ثم خلق الأشياء وأنشأها على تلك الطبيعة، ومازج بينهما بتمام الحكمة".**

من منطلق قوله هذا يتقدم النورسي ليقر التوحيد على أسس علمية وموضوعية ، فيختار لذلك شواهد كثيرة بأسلوب رقيق جذاب، وبأفكار

[1]– الآية 62 من سورة الزمر.

أخّاذة، لا يطيل عليك بالنصوص ولكنه يستوحي أفكاره منها ، ويجول في رحابها حتى إذا جاء بشاهد من النص كان في المكان الذي يليق به.

ومن موقع إثبات الوحدانية يدفع شبهتين طبعيتين صدرتا عن العقل الطبيعي:

4-2-2- ماذا يضر الوحدانية لو توجه العقل بمدح الأسباب الجزئية؟

وهي الشبهة الأولى التي تأتي بالعبارة الآتية :

قولهم: **"ماذا يضر وحدانية الله عز وجل لو توجه العقل ببعض المدح والثناء إلى بعض الأسباب الجزئية في إيجادها الأشياء الصغيرة التافهة، فهل ينقص ذلك شيئا من سلطانه سبحانه وتعالى؟"**

بكامل السهولة يتقدم الطبيعي بهذا السؤال ، وهو يلقيه من موقع أرضية إنتقالية، فهو الآن في المرحلة الوسطى، لكنه لما أطل على الوحدانية من موقع البرهان اتضح له أن مدح بعض الأسباب والثناء عليها لا ينقص من وحدانية الله، وهذا معتقد منطقي صائب، فلو أشرك العالم كله والكون كله لما أضر هذا بوحدانية الله شيئا، لكنه من وجه آخر هو في منتهى الخسارة، فإذا كانت وحدانية الله عز وجل منزهة عن النقص حتى ولو انتقص العباد فإن الخسارة هنا تعود على المخلوقات لا على الخالق[1] ، ومن هنا يتصدى النورسي

[1]– سيأتي التفصيل في هذا الكلام في الرد على الشبهة الأولى في المستوى الثالث.

للرد على هذه الشبهة، ذلك أن الإيمان بفاعلية جزء من أجزاء الطبيعة أو الطبيعة كلها وإشراكها مع الله هو مرفوض من العقل والشرع بصفة كلية، وذلك أن العقل هو عقل البشر، فهو حامي الإنسان من الخسارة والضلال، ثم إن الشرع ما جاء إلا لمصلحة البشر، فهو مرتبط بمصالحهم بالأساس، وأية مصلحة تقدم على مصلحة الإيمان بالله التي هي سر النجاح في الدنيا، ومفتاح الفلاح في الآخرة؟ لذلك فالخالق المتصرف بالربوبية لا يقبل هذه الحالة من أي مخلوق، فمثلما أن أي سلطان لا يرضى أن يشاركه أحد في ملكه أو ينال من هو دونه نفس العظمة والتقديس الذي له، فكذلك الخالق فإنه "لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما"[1]. هذا مع العلم بمسألتين:

الأولى: أن الطبيعي القائل بهذه الشبهة يؤمن بالله.

الثانية: أن شبهته لا يرى فيها ضررا بالوحدانية.

ولكننا إذا نظرنا إلى المسألتين سويا وجدناهما متناقضتين، ووجه التناقض يكمن في أن الثانية تدحض الأولى وتكدر صفائها، فكيف يكون الإيمان بالله كاملا في الوقت الذي نضع مَنْ خَلَقَ اللهُ مكان الله، وننسب له أفعاله وصفاته وهو متفرد بها تفرد تنزيه؟

[1]- الآية 48 من سورة النساء.

4-2-3- ماذا يضر الوحدانية إذا عبدت بعض الأسباب ؟ وهي الشبهة الثانية التي بعبارتهم : **إذا قصدت "بعض الأسباب " بالعبادة في بعض الأمور الجزئية فهل ينقص ذلك شيئا من عبادة المخلوقات المتوجهة جميعا إلى الله العلي القدير ابتداء من الذرات و انتهاء إلى المجرات؟**

الجواب الذي يقدمه النورسي -- وهو دائما يختار المثال- هو أن الكون والطبيعة كالشجرة تنتج ثمارا، والإنسان ثمرة من هذه الثمار اليانعة، بل هو ثمرة من الوزن الثقيل، وكلمة "الوزن الثقيل " لها دلالة معنوية ولا تقاس بالمعنى الحرفي، إذ لا يوجد ماهو أغلى ولا أحلى من الإنسان، ولا أجمع لعناصر الحياة ولا أوعى شعورا منه، فإذا كان الإنسان على هذه الصفة فهل يرضى الله عز وجل أن يسلم الإنسان الذي هو ثمرة غرسه إلى غيره من "الأسباب"؟ هل يرضى الله عز وجل أن يسلمه لها ويسلم فيما لأجله كان الإنسان وهو العبودية والشكر؟مثلما أن صاحب الغرس لا يقبل أن يسلم ثماره إلى غيره كذلك الله عز وجل فإنه لا يغفر أن يشرك به[1].

[1]- مع فارق يبدو واضحا هنا، وهو أن صاحب الغرس يخاف على ثمار غرسه لأنه في حاجة إليها لنقص فيه أما الله عز وجل فإنه يفعل ذلك رحمة بالإنسان، ورأفة به من الخسارة يوم الميعاد، فالعبودية والشكر أمانة وميثاق تقلدهما الإنسان بالفطرة.

4-3- المستوى الثالث: (الطبيعي) في مرحلة الإعتقاد .

أي في مرحلة الإيمان ، ولكنه إيمان يشوبه كدر من المرحلتين السابقتين مازالت هناك أسئلة كثيرة تخامر عقله، وتخالج صدره، ومادامت هذه الأسئلة لا جواب له عليها فهي بمثابة عائق في تذوق الإيمان وفهمه، وعرقلة في الإعتقاد في الله بطريقة خالصة، والنورسي الذي جال في الفكر الطبيعي تاريخا وبنية يدخل على صاحب هذا الفكر في نفسه، ويقف على دقائق (معارفه القبلية)، ليسل منها أخطر الشبه يقدمها له في صيغة سؤال ليتصدى بعد ذلك للجواب عليه.

الشبهة الأولى: ما حاجة الرب – الغني بذاته – إلى عبادتنا حتى يتهددنا في محكم كتابه ويتوعدنا في نار جهنم؟ فكيف يتم التوفيق بين هذا التهديد الصاعق منه إلينا مع الخطأ الذي لا يضر ذاته المقدسة مع أسلوبه المعجز الهادي والرقيق في المواضع الأخرى من كتابه؟

الجواب نقدمه في الفقرات الآتية :

أ– الله سبحانه غني بذاته عن عبادة الإنسان وقد تقدم معنا بيان ذلك ونكرره الآن لاختلاف المقام.

ب– حين يعلم الإنسان أنه كائن مخلوق، وأن الله هو خالقه ورازقه يدرك أنه هو المحتاج إلى عبادة الله.

ج– حين يعلم الإنسان أنه خلق من عدم، وأنه من آدم، وأنه نزل إلى

الأرض بعد ارتكاب الخطيئة بغواية إبليس، وأنه سيعود إلى ربه ليحاسبه عن مثقال ذرة خير، وعن مثقال ذرة شر، حين يعلم هذا يدرك أنه في حاجة ماسة إلى عبادة ربه.

د– حين يعلم أنه ما خلق إلا للعبادة "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[1] ، يقف على حقيقة وجوده، فوجوده هو وجود عبادة.

هـ– حين يوسع مدارك علمه ليعلم بعلم الله أن إبليس صارفه عن هذه العبادة، وصاده عن الحق واليقين إلى الضلال والكفر يدرك أن عبادة الله هي العروة الوثقى، وهي حبل الإعتصام من قواصم الشيطان.

و–إن الإعراض عن عبادة الله هو أخطر مرض يصيب النفس ،ويهدم الذات، والعبادة هي أنجع دواء لهذا الداء، وإذا ذاق الإنسان هذا الأمر فإنه لا يحيد عنه أبدا ،هكذا سبيل أهل الاعتقاد فلنتصور مريضا علم دواءه من ذلك المرض ، ثم جاءه الطبيب مخاطبه في الإعراض عن هذا الدواء وعن كل دواء أفلا يفهم المريض من كلامه مدى التفاهة والسخف وغباء المنطق ؟

ز– ثم لنتصور سلطانا يحكم مملكته، إذا تهاون في تطبيق الأحكام على المجرمين، وتساهل في إقامة العدل بين الناس هل يبقى لحكمه معنى؟ ثم إذا تهاون الناس في خدمته وتقاعسوا في الإمتثال لأوامره هل تبقى لهيبته معنى؟ فكما أن السلطان يعاقب مرتكبي الجريمة التي تمس حقوق الآخرين لأجل

[1]– الآية 56 من سورة الذاريات.

الحفاظ على حقوق الرعايا كذلك الله عز وجل فإنه يعاقب تارك العبادة والصلاة عقابا صارما حفاظا على سير السنن والقوانين الجارية في نظام الخلق والعبودية.

ح- حالة الإنسان تجاه ربه هي مقياس لحالته تجاه الكون والطبيعة، كل واحد ينظر إلى الكون بمنظاره الخاص ووفق عالمه الداخلي، يزن الكون بميزان نفسه، فالإنسان الحزين يرى الكون حزينا، والفقير يرى الكون فقيرا، والسعيد يرى الكون سعيدا، والإنسان المؤمن المتعبد الذاكر لله يرى الكون مسبحا و عابدا و ذاكرا، أما الغافل عن ذكر الله، المعرض عن العبادة المنكر للحق فإنه لا يرى للكون حرمة ولا للطبيعة معنى إلا إرادة الإستغلال والإستنزاف واللذة، وهي الأمور التي تأتي تحت شعار "غزو الطبيعة" أو "الصراع مع الطبيعة"!

فالعقل الملحد هو عقل مدمر بطبيعته.

ط- لينظر الإنسان إلى نفسه أولا، فنفسه نفس مخلوقة خلقها الله له وأمره بالمحافظة عليها، بتزكيتها بالصلاة، وبتحليتها بالعبادة وبتخليتها من أدران الشرك والمعاصي، "ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[1]. فتارك العبادة هو ظالم لهذه النفس التي أُمر بصيانتها والمحافظة عليها، والصيانة والمحافظة معناهما (العبادة وفق توجيهات الرب)[2].

[1]- الآية "7-10" من سورة الشمس.

[2]- سيأتي معنا بسط الكلام في هذا الموضوع.

وفي النهاية، إذا جمعنا كل هذه الفقرات نَكُونُ قد أكملنا الجواب على سؤال الطبيعي، وإذا اطلع الطبيعي على هذه الفقرات، وتدبرها سيدرك لا محالة لماذا اختار القرآن أسلوب الوعيد والإنذار... ولله في خلقه شؤون.

الشبهة الثانية: وتتمثل في عدم اقتناع الطبيعي بصدور الكثرة عن الواحد، فكل جزء من أجزاء الطبيعة في هذا الوجود، مهما تعدد بين أجزاء كثيرة متعددة، ومهما تعدد في ذاته هو منقاد انقيادا مطلقا للمشيئة الإلهية والقدرة الربانية، فهذا الإنقياد لا يقبله الذهن ولا يستوعبه العقل، ثم إن هذه المخلوقات تمت بسهولة في الخلق والإيجاد لأنها من مستلزمات "الوحدانية"، **فأين يكمن سر هذه السهولة، وما الحكمة من ورائها ؟**

يختار النورسي للإجابة على هذه الأسئلة صيغا متعددة، وأساليب مختلفة، فهو ينتقل بك من أسلوب إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى رغبة في الوصول بك إلى الجواب المقنع، وهذا الإنتقال ليس عيبا منهجيا لأنه جواب متماسك، داحض ومقنع، لمَ لَا يكون الأمر كذلك والنورسي هو صاحب هذا الإفتراض، وهو المتكلم بلسان الطبيعي، وهو حين يختار نعت "الطبيعي" إنما يقصد كل طبيعي سواء أكان من "**الطبيعيين الأوائل**" أو من "**الطبيعين الأواخر**" فحججهم واحدة، وشبههم متماثلة لأنهم توارثوا ذلك خلفا عن سلف، لذلك نجد النورسي يميل دائما إلى العناصر المشتركة في حججهم ومبادئهم عوض الإستغراق في الجزئيات، ويأتي على العموميات ليحدد الشبهات ثم يؤصل لها، والعموميات التي ذكرت ليست عموميات اعتباطية

تـذوب فـيها الحقيقة وتنحل... إنها العموميات التي تجد فيها الخصوصيات مكانها بارتياح تام.

نعود إلى الجواب على السؤال السابق لنحدده في العناصر الآتية:

4-3-1- عنصر الكـثـرة: مهمـا تعـددت الكـثرة – والكـثرة بطبيعـتها مـتعددة – فإنهـا ليست حجة على الواحد، ولا يعتقد فيها أنها خالقة،والدليل على ذلك أنها كثرة، فالكثرة لا تخلق، وإنما تُكَوَّنُ وتُشَكَّلُ وتُصْنعُ، وهناك فرق بـين"الـتكون"و "التشـكل" و"الصـنع" و"عمليـة الخلـق "، فالخلق يكون من العـدم، مـن "لاشـيء" يكـون "الشـيء"، وأساسـه كلمة "كن" الإلهية: "بديع السماوات والأرض، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون"[1].

4-3-2- الواحـد هو خالق الكثرة : لما كان الواحد هو خالق "الكثرة" فهـو علـة وجودهـا، وتقـرر الشـرائع السـماوية في ديـن الإسـلام أن الواحدية والأحديـة هـي علـة وجـود العـالم، والواحـد هـو الله الـذي خلـق الكـون من العـدم،[2]. فإذا تقرر أن الله يملك زمام الوجود فإنه حقا يملك زمام العدم، لأن القـادر عـلى الإيجاد هو القادر لا محالة على الإعدام، والذي يعطي الحياة في الكـون قـادر عـلى سـحبها منه، وحالة "الحياة" هي كحالة "العدم" كلاهما مخلوق بحد ذاته: "خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا"[3].

1- الآية 117 من سورة البقرة.

2- تأمل آيات سورة الإخلاص من القرآن الكريم تقف على حقيقة هذا المعنى الذي ذكر.

3- الآية 2 من سورة الملك.

4-3-3- الكـثرة هـي الموجـودات : "الكـثرة" المقصـودة هـنا هـي "الموجـودات جميعا"، إسـنادها إلى الصـانع الواحـد يسـهل عملية الإيجاد، فالصـانع الـذي أوجـد الكـثرة أوجد الواحد في الكثرة، فبالسهولة التي تم بها إيجـاد الواحـد تمـت بهـا إيجـاد الكـثرة، لكننا إذا عكسنا العملية بأن تولت "الكـثرة" إيجاد "الواحد" فيتعذر عليها ذلك، وهو تعذر مقبول عقلا وشرعا، فـالعقل لا يَعْقِلُ فكرةَ أن "الكثرة" توجد الواحد، فالكثرة بطبيعتها مفتقرة إلى الواحـد، ومـن مسـتلزمات الفعـل أن الكثرة تصدر عن الواحد لا العكس، ومن مقومـات الصـدور الخلـق لا الفـيض، كمـا أن الشـرع يـنفي ذلـك مطلقا بوجه الإعجـاز، فالأكثرون "لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له"[1] ، والجن والإنس على كـثرتهم لا يسـتطيعون أن يـأتوا بالقـرآن وهـو شيء واحد "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[2] ولـما كـان الأمـر عـلى هذا الحال استحال على الكثرة أن توجد نفسها .

4-3-4- إسـناد (الإيجـاد) إلى الصـانع :من منطلق ما تقدم إذا أُسند الإيجـاد إلى الصـانع أصـبح الأمـر سهلا جدا ،فإذا بالكون كله يصبح كإيجاد شجرة واحدة ،إذ العلمية التي تشكلت بها الشجرة تشكل بها العالم والكون،

1- الآية 71 من سورة الحج.

2- الآية 88 من سورة الإسراء.

لنتصور أن جنديا يدار تحت إمرة مائة ضابط كيف يكون حاله من جهة الانضباط ؟، لاشك أن الخلل في تسييره واقع لا محالة بعكس ما إذا كان أمره تحت أمر ضابط واحد ،فالأمر سيكون احسن وأسهل .

ولنتصور أن جيشا أريد له أن يتجهز بكل اللوازم العسكرية للقيام بعملية حربية ،وكان أمر هذا الجيش تحت أمر مائة ضابط، كلهم في مقام واحد من جهة السلطة ،وفي رتبة واحدة من جهة إصدار القرار ،كيف سيكون أمر القرار؟ وأمر الحكم ؟وأمر الجيش في النهاية ؟ .

إن وقوع ذلك الجندي تحت إمرة ضابط واحد هو من حيث الشكل كوقوع جيش بكامله تحت إمرة ضابط واحد ، يصدر القرار من مركز واحد .

(إن ورود ألوف الموجودات بسهولة مطلقة إلى الوجود –في الوحدة– أسهل من ورود موجود واحد إلى الوجود بالتعدد والكثرة)[1]

الشبهة الثالثة: يتقدم الطبيعيون بسؤال شغلهم طويلا، وهو معتقد مافتىء أساتذتهم يرددونه بكثرة في أطروحة تقول : **المادة لا يجري عليها الفناء ولا يصيبها الحدوث، فالكون هو هو، وما يديره سوى المادة، فالمادة فاعلة بنفسها، منفعلة ببعضها، فتركيبها و تحليلها هو أساس التغيير والتحول في الكون كله.** فإلى أي حد يكون هذا التصور سليما وصوابا؟

– كتاب "الطبيعة" ص:77 .

هذا سؤال الطبيعي المنتقل إلى مرحلة الإعتقاد ، ذهنه ما زال مشغولا بمعطيات العهد السابق... هناك عوائق فكرية تتخالج العقل، وعراقيل معرفية لن تعالج طبعا إلا بهذا النوع من "التداعي الحر" ... حينما تتحدد الشبهة يكون الجواب صريحا واضحا.. لأن وضوح السؤال هو السر في وضوح الجواب، والواقع أن هذه الشبهة لا تقل خطورة عما مضى وهي مقولة بعض أساتذة الفلسفة الطبيعية في عصر النورسي، اجتروا هذه المقولة من أساتذة الطبيعة الأوائل فلقنوها لطلبة العلم، والجواب عليها واضح، فالفلاسفة الطبيعيون الذين أقروا بهذا الافتراض إنما نظروا إلى الموجودات من منظور "الطبيعة" و"الأسباب"، ولم ينظروا إليها من منظور القرآن، فلما نظروا من المنظور الأول خلصوا إلى ذلك الطرح، وجواب النورسي يُختصر في الدفع بهم إلى أن ينظروا إلى الموجودات من نور القرآن ومنظور الوحي، غير أن التمييز بين هؤلاء ممكن جدا، إنهم على قسمين:

– قسم تحلى بنظرية الإنكار المطلق للطبيعة والوجود، وهؤلاء هم من السفسطائيين ومن تبعهم في هذا المعتقد، أنكروا أنفسهم تبعا لإنكار الوجود ، ورأو أن أنجع وسيلة للعقل هو الإنكار[1].

– وقسم جعل الإيجاد في "الأسباب" و "الطبيعة" وقرروا على ضوئها

[1]– يصدق على هؤلاء قوله تعالى في الآية 23 من سورة الجاثية: **"وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكها إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون".**

أنـه "لا يستحدث شـيء مـن العـدم" وقـادتهم هده الفكرة إلى الاعتقاد في أن إعـدام الشـيء محـال فقرروا تبعا لذلك عدم فناء الموجودات تحت فكرة: "إن المـادة لاتفنى ولا تستحدث"، وهذا فيه مغالطة كبيرة وخطيرة، وتعدي وجور عـلى إرادة الله ومشـيئته، ويُجـاب عـنه أن المادة تفنى إذا أراد الله لها الفناء من عالم الشهادة، وحدد علمه زمن هذا الفناء، وفي المقابل فإنها تُستحدث من العدم وتظهر في عالم الشهادة إذا أراد لها علم الله أن توجد، وحدد علمه زمن هذا الوجود[1].

ونختم الكلام في هذا الصنف من المستوى الثالث بفكرة تلقي الضوء على أسـلوب الخـالق سـبحانه وتعـالى وطريقته في الخلق والإيجاد، وهو كلام يقدم كبديل لكل ما تم دحضه سابقا، يقول بديع الزمان النورسي:

"نعم، إن القدير المطلق ذا الجلال له طرازان من الإيجاد:

الأول: هـو الاختـراع والابـداع، أي أنـه سبحانه يـبدع الوجود من العـدم إبداعـا مـن غير شيء، ويوجد كل ما يلزم – هذا الوجود– من أشياء من العدم ويسلمها إياه، ليستمر وجوده فيها.

الآخـر: هـو بالإنشـاء والصـنعة والإتقـان، أي ينشئ قسـما مـن الموجـودات مـن عناصـر الكـون نفسـه، إظهـارا لكمـال حكمـته، وتبـيانا

[1]– "الطبيعة" ص 80.

لتجلـيات أسمائـه الحسـنى، وأمـثالها مـن الحكم الدقيقة، فيرسل إلى تلك الموجـودات الـذرات والمـواد المنقادة إلى أوامره ضمن سنن الرزاقية الكونية، ويسـخرها لهـا لـيكمل إنشـاء هذا الوجود، وهكذا فالقدير المطلق القدرة له أسـلوبان من الإيجاد، وصورهما: الإبداع والإنشاء، فإنشاء الموجود وإيجاد المعدوم أمر سهل جدا لديه، وهين جدا بل هو قانونه الدائم العام.

فـالذي يسـتبعد مـن القـدرة الفاطـرة إفـناء الموجـودات التي توجدها في الربيع من العدم، وتخلق أربعمائة ألف نوع من المخلوقات والأحياء، وتمنحها أشكالها وصفاتها وكيفياتها وأحوالها فضلا عن إيجاد ذواتها من العدم.

إن الـذي يسـتبعد مـن مـثل هـذه القدرة الإيجاد والإعدام ويقول: " إنها لن تقدر على إيجاد المعدوم" لابد أن يهوي في ظلمة العدم"[1].

وأخـيرا.. فهـذه وقفـات مـع كـتاب "الطبـيعة" وقفـات استوحت منه الأفكـار الرئيسـية الـتي تبـنى عليها الأطروحات المركزية في التصور الطبيعي، كما استوحت القضايا الهامة والعامة في الحالة الطبيعية لكن الصورة لن تكتمل إلا بعـرض المباحـث القادمـة، ومـنها الموالـي الـذي هو في الطبيعة أيضا لكنه خارج كتاب الطبيعة.

[1]– "الطبيعة" ص 83 - 84

5- الطبيعة خارج كتاب "الطبيعة"[1].

إذا تركنا كتاب الطبيعة جانبا وعدنا إلى تراث النورسي نجده يتصدى للموضوع نفسه، إما في فقرات قصيرة أو بإشارات عابرة، أو بغمزة نقدية في جزئية من الجزئيات المثارة في الشبهات السابقة، أو في معالجة طويلة النَّفَس تشدك إليها شدّاً مثلما فعل في كلامه عن "الطبيعة" و"القوانين" و "القوى" و"الصدفة" في رسالته "نقطة من نور معرفة الله"؛ غير أن ما يمكن أن يلاحظ على فكره عموما هو طابع الإعادة، فهو يعيد ما سبق أن تعرض له في الكتاب السابق أو في كتب أخرى... وهذا يبين أن الطبيعة هي هاجس قوي استولى على اهتمامه، وأخذه إليه أخذا.

لِمَ لَا والنورسي صرح في غير ما مرة أن معركته في الحياة مع طاغوتين: "النفس" و"الطبيعة".

وسنحاول في هذا المبحث الذي سميناه بـ " الطبيعة خارج كتاب "الطبيعة" أن نقيم متابعات من نوع يتماثل ويتقارب ويتشابه مع ما تقدم في الموضوع، جعلناه في الفقرات الآتية:

1- نعني بذلك التوسع في الكلام عن الحالة الطبيعية بالاعتقاد على مؤلفات أخرى للأستاذ سعيد النورسي.

5-1- نقد سببية الطبيعيين :

من بين المهاوي التي وقع فيها الطبيعيون أنهم أضفوا صفة الخلق والإيجاد على الأسباب، وذلك بإضفاء صبغة الفاعلية عليها، ويمكن القول أنه انطلاقا من صفة الفاعلية جاء معتقد القول بالخلق والإيجاد، وقد تم هذا بعاملين:

الأول: ما يتراءى للعقل في جل الظواهر الطبيعية تقريبا من تلازم متين بين الأسباب ومسبباتها، وما يلاحظ في كثير من مظاهر الطبيعة من الترابط بين المُحدثات والأحداث ، وهذا تم على مستويين: على المستوى "الماكروسكوبي" كالنار والاحراق، والمصباح والنور، والسحاب والمطر، والشمس والنهار...، وعلى المستوى "الميكروسكوبي" كالذرة والأجسام، والأكسجين والهواء، والفيروس والمرض...، وهذا يقع في ملايين الموجودات التي توجد باقتران السبب بالمسبب والمحدث بالحدث.

الثاني: غياب الإيمان أدى إلى القول بفاعلية الأسباب، وعدم الاقتناع بالربوبية المطلقة الفاعلة أدى إلى إضفاء صفة الألوهية على الأسباب، والإيمان المفقود هو عاصم من الوقوع في هاوية هذا التصور المهلك، لأن الإيمان يعلمنا **"أن السببية وإن كانت قانونا مطردا في الطبيعة إلا أنها من سنن الله، وأن هذه السنن لا تُحَكِّمُ فعلَ الله فيها، وإنما هو الذي يحكمها، وآيات ذلك معجزات أنبيائه ورسله التي تأتي وكأنها تحدٍّ لقوانين الطبيعة وسننها، وهي تقع من البشرية موقع التذكير والتنبيه كي لاتنزلق إلى أسر هذه**

العبودية للأسباب ، لأن الأسباب هي مخلوقة أيضا، ولا يمكن أن تكون خالقةً، فالاقتران غير الخلق، وكون السبب يأتي دائما مقترنا ومصاحبا لمسببه لا يمكن أن يكون دليلا على أنه يملك بعض صفات الربوبية، بل على العكس من ذلك، فالاقتران والتلازم ينافي تنزيه الربوبية لأن التنزيه يقتضي عدم الإلتماس والمباشرة بين الخالق والمخلوق، وحيث يوجد تماس وتوجد مباشرة فإذن لا ربوبية هناك"[1].

ثم يواصل النورسي خطابه "للطبيعي" بخطاب نقدي صريح فيقول:

"فيا عابد الأسباب، أيها المسكين المفتون بالطبيعة إن طبيعة كل شيء مخلوقة كالشيء نفسه، لأن تكونها محدث غير قديم، وعليها علامة الصنعة والإتقان، وإن سبب وجود هذا الشيء الظاهري هو أيضا مصنوع حادث، ولما كان وجود أي شيء مفتقراً إلى وسائل وآلات وأجهزة كثيرة جدا فلا بد من قدير مطلق القدرة مستغنيا غناء مطلقا، فلا يشرك الوسائط العاجزة في إيجاده للشيء وفي هيمنة ربوبيته عليه"[2].

هكذا يَخْلُصُ النورسي إلى دائرة قد لا تنتهي، أو تنتهي بعد جهد وذلك حين تجمع بين السبب والمسبب وبين المحدث والحدث حيث تجد كلا منهما مخلوقا بذاته.. هذا على صعيد كلي..

[1]- راجع كتاب "الطبيعة" ص 54، وللتوسع راجع "حقائق الإيمان" ص 113

[2]- "الطبيعة" ص 55.

أما على الصعيد الجزئي أو الجسيمي فالمسبب يقتضي هو الآخر أجزاء، ويقتضي كل جزء على حدة أجزاء مكونة له تتحول هي بدورها إلى مكونات في ذات السبب، فإذا أخذنا مثلا النار التي طبيعتها "الإحراق"، كانت النار "شيئا"، وهي سبب بذاته، وكان "الإحراق" "طبيعة الشيء" وهي المسبب، وهما مخلوقان، فكما كان من طبيعة الإحراق النار، كان من طبيعة النار الحطب الذي تسعر فيه، وكان من طبيعة الحطب الشجر، وكان من طبيعة الشجر بذرة وهكذا.. هذا على المستوى التنازلي، أما على المستوى التصاعدي فالإحراق هو الآخر قابل لأن تظهر فيه مواصفات تظهر من أجزاءِ كُلِّهِ ماكروسكوبيا وميكروسكوبيا، "وهكذا ندخل في دائرة الحياة المغلقة بأسبابها ومسبباتها، ونصل إلى ما كان "مسببا" قد يعود في إحدى دورات حياته ليصبح سببا، وما كان سببا يمكن أن يصبح في دورة أخرى مسببا أيضا"[1]. وهذا كله بحسب اختلاف موقع البحث، والغرض المنوي الوصول إليه..

ويواصل النورسي نقده لسببية الطبيعيين بأسلوب تكثفت فيه المعاني، وتزاحمت فيه الكلمات... وهو كعادته يتوجه شارحا ومفسرا وممثلا وموضحا و في بعض الأحيان يذكر بالجديد [2]، غير أنه في أحيان أخرى يعيد نفس الأطروحات ويتصدى لها بنفس الأفكار وإن اختلفت الهيكلة والأسلوب[3]، كما

[1]- "الطبيعة" ص. 55 .

[2]- أنظر الرسالة الخامسة التي عنوانها "حباب.." في المثنوي العربي النوري ص 202.

[3]- انظر الرسالة السادسة التي عنوانها "حبة" في المثنوي العربي ص 251 ومابعدها.

أنه في حالات كثيرة يفتتح كلامه بالعبارات الآتية:

– ياأيها الغافل المنغمس في الأسباب...[1]

– إعلم أن التعلق بالأسباب سبب الذلة والإهانة...[2]

– إعلم يا من يستمد من الأسباب...[3]

– إعلم يا من يعتمد على نفسه وعلى الأسباب وعلى الدنيا إنك حينئذ تصير كالذباب ذي النجيم يترك النهار بشمسه، ويعتمد على نجيم نفسه، وتلمعه في الليل...[4]

– إعلم أيها المبتلي بالأسباب....[5]

وهو لا يقول هذا إلا متأسفا، ومتحسرا، ومتعجبا كيف يرضى الإنسان لنفسه الخسارة الأبدية حين يختار لنفسه الشرك موقعا وملجئا، وذلك بقوله بالأسباب، لنستمع إلى النورسي وهو يقرع أذن الطبيعي وعقله بهذه النصيحة الجامعة: **"ما أعجب شأن الضلالة بسبب الغفلة كيف استخرجت العلية من المقارنة الساذجة والدوران الطردية بين المصنوعات مع ارتكاب محالات متسلسلة، مع أنه لم يتبين ولم يتحقق قط في شيء من الأشياء، أمارة**

[1]– انظر الرسالة الأولى التي عنوانها "لمعات من التوحيد الحقيقي" في المثنوي العربي النوري ص 51.

[2]– أنظر الرسالة الرابعة التي عنوانها "قطرة من بحر التوحيد" في المثنوي العربي النوري ص 160.

[3]– وهو يقصد هنا الإستمداد العبثي الإلحادي لا العلمي التجريبي.

[4]– أنظر الرسالة السابعة: "زهرةمن رياض القرآن الكريم"، في المثنوي العربي النوري ص 263.

[5]– الرسالة السابقة في المثنوي العربي النوري ص 213.

صادقة على وجود شريك صانع لذلك الشيء، بل صنعة كل شيء مجهولية تتكشف عن قدرة غير متناهية لقدير واجب الوجود، فياخسارة الإنسان وياجهالته كيف أخذ الشرك لنفسه موقعا في نفسه وفي عقله"[1].

5-2- الكل والجزء وصلتهما بـ (الخلق) :

يناقش النورسي نظرية "الكل والجزء" من منظور فلسفي عميق هو ناتج لا شك عن فيض المعرفة الباطنة المستهداة بنور الإيمان، وبسراج العقل المنير، فهو يرى أن الأجزاء تتساند فيما بينهما برباط قوي محكم، هذا الرباط هو رباط "الكل"، فالكل هو الذي يضفي على الأجزاء عنصر الجاذبية، وهذا الأمر ظاهر بالاستقراء في المباني المتراصة والعمارات الشاهقة والدور.. كما يلاحظ في النباتات والمزروعات، فالمعرفة الحقيقية التي نكونها عن الأغصان والثمرة إنما تأتي من كل "الشجرة"، كذلك "الإسلام" فهو كل بأجزاء، كل جزء لا يأخذ موقعه الحقيقي إلا في الكل، وكلما ازداد الفهم بالتفصيل والشرح والبيان ازداد فهم كل جزء، غير أنه لابد لهذا الفهم والشرح والبيان أن يكون مستوحى من الإطار الكلي للإسلام وإلا كان فهم الجزء فهما شاردا...

إن "الجزء الإسلامي" في إطار "الكل" لا يأخذ قوة صموده ووجوده إلا في إطاره الكلي وذلك عن طريق المعرفة الصحيحة.

[1]– الرسالة الرابعة، تقدمت، في المثنوي ص 161.

إن الـذي يضـفي عـلى الكون طابع التناسق والإنسجام هو أن كل جزء مـن أجـزاء "الكـل" تتوفر فيه نفس الخصائص الموجودة في الأجزاء الأخرى، وهـنا يتحول كل "جزء" بهذا الإعتبار إلى "كل" بذاته فمن جهة أن "الكل" لا يـتكون إلا بـه.. لأن الكـل يسـتمد قـوة وجـوده مـن الجزء... ومن هنا فلا خـلاف في قولهـم "إن الجـزء أكبر من الكل"... إذ لا يمكن تصور "كل" بلا أجـزاء في حين يمكن أن نتخيل جزءا بلا كل ... ومن منطلق هذا الفهم يكون "كـل جـزء مـن كـل الكـون واحـد قياسي لإمكانات سائر الأجزاء، وبالعكس فأجزاء الكائنات مقاييس للإمكانات بينها كلٌ لكلٍّ"[1].

ونخلـص في نهايـة المطـاف إلى أن **الحاجة** تبقى قائمة بعنصر النقص الحاصـل في الجـزء والكـل ، فالجزء يحتاج إلى ما يحتاج إليه كل الكل كماً "فالـثمرة تحـتاج إلى كـل مـا يحـتاج إلـيه كـل الشـجرة، فخالق الثمرة بل حجـيرة مـن حجيراتهـا لابـد أن يكون خالق الشجرة، بل خالق الأرض بل خالق شجرة الخِلقة"[2].

[1]- أنظر الرسالة الخامسة "حباب..." في المثنوي العربي النوري ص 176

[2]- المصدر السابق، وفصل النورسي في هذا الموضوع في رسالته "الإسم الأعظم"

5-3- "الأنا" و"الحالة الطبيعية".

ما الأنـا ؟

"الأنا" الذي يتكلم عليه النورسي هوغير "الأنا" المشهور والمتداول..إنه غـير المفهـوم السلطوي الشائع في الفلسفة الغربية الذي يعني "مقابل الآخر"، ولا هـو بالمعـنى الإستشراقي المركزي الذي يعني "معاينة الآخر وفقا للذات " VOIR L'AUTRE SELON SOI".. "الأنا" عند النورسي له صفة فلسفية تخلـط بـين المعطـيات البيولوجية والفلسفة وبين معطيات الإيمان، إن "الأنا" هـي ذات الإنسـان المؤمـن بـالله بصـفة خاصـة وكـل إنسـان بصفة عامة، هي حـركات الـذرات الـتي تكونه وتكون العالم من حوله ... ثم ينتقل بها إلى ما هـو أعـم مـن هـذا التصـور البـيولوجي حـين تُربَط بالأمانة، الأمانة التي أبت السـماوات والأرض والجـبال أن يحملـنها وحملـتها "الأنا"، ويعطي النورسي لمصـطلح "الأنـا" مفاهـيم وتعـابير تغـوص في الحـق والـباطن ولكن مع الظاهر والجلي ،وهو في إشاراته هاته يؤسس شيئا هو بخلاف البنية المادية الظاهرة، ولـن نغـوص في عـرض آرائه وأقواله فقد ضمنها في كتابه المعنون بـ"الأنا"[1] ، وذلـك حـين خـص المقصد الأول لـ"ماهية الأنا"، والمقصد الثاني لـ "تحولات

[1]- العـنوان الكـامل لهذه الرسالة "وهي الكلمة الثلاثون من مجموعة الكلمات" هو: (أنا) ذات الإنسان وحركات الذرات بين الفلسفة والدين- من ترجمة إحسان قاسم الصالحي- قدم له الدكتور الشفيع الماحي أحمد ،الطبعة الأولى 1410-1990م مطبعة حسام -بغداد.

الأنـا"، وهنا يلاحظ النورسي أن لحركة "الأنا" وجهتين: وجهة نحو حقائق النبوة ووجهـة نحـو حقائق الفلسفة، والوجهة هي حركة النفس نحو التكمل بالعلم والمعرفة، وتبقى الذرات مؤشرا حيا على أمور أساسية، فهي في تحولاتها الحركية دالة على التوحيد، وفي وظائفها وحكمها دالة على الوجود، والكل يدل على معجزة القدرة والكمال الإلهي..

وإذا كانت "الأنا" على الصورة التي قدمنا، فإنها تبدو ومن وجه آخر على صورة أخرى أكثر فاعلية، إنها "أنا" الإنسان المتكلم من موقع إنسانيته، المتكلم من موقع الإحساس المشترك، والخواص المشتركة، والخصوصيات التي تجمع الإنسانية كلها، أو لنقل، إن "الأنا" عند النورسي هي "الأنا" الجزء الذي يتكلم في إطار "الكل"، "الكل"الإنساني... هاهنا تبدو هذه "الأنا" أكثر تجسيدا وأكثر وضوحا، ويبدو كلامها أكثر واقعية وأبلغ انسجاما، لكنها متى قُلبت المعادلة لتجعل لنفسها خصوصيات منفردة، وهو يات متميزة، وتحاول أن تجعل من نفسها مركزا وذلك في ضوء هذه الخصوصيات هنا تكون الخسارة كبيرة...

5-4- المتكلمون طبيعيون

هل المتكلمون طبيعيون؟

هذا سؤال يتبادر لكل واحد حين يجد النورسي يتناول في مقالاته المتكلمين بالنَّفَس الذي يتناول به الطبيعيين... والجواب عليه يوجد في التاريخ، فالذي يطالع علم الكلام ويقف على مقالات الفرق وشبهها، ويقارن بينها وبين مقالات الطبيعيين من جهة، وبينها وبين خصوصية الإسلام لا يسعه إلا أن يقول: إن (بعضا) من المتكلمين إن لم يكونوا طبيعيين فهم متأثرون بالطبيعيين، وهذا هو الصواب، فقد دخلت نزعة الفلسفة الطبيعية إلى علم الكلام الإسلامي، فوجهت الجدل بين الفرق، وأثّرت في المناظرات والحوارات، ودخلت دخولا منسجما في نوعية السجالات الفكرية، وأعتقد أن كتب علم الكلام بنظريات كثيرة تضمنت أفكارا هي تنسجم مع الحالة الطبيعية أكثر مما هي منسجمة مع روح الإسلام ومقصده، ولما كنا أقررنا أن الفكر الطبيعيي يتأقلم مع مناخ الحضارة التي تسرب إليها فقد تبدى لنا في صورة معتقدات تبنتها مذاهب كثيرة احتلت مركزا هو من السيادة في بعض الفترات من فترات تاريخ الإسلام[1]، والملاحظ أن بعض الشبهات من العهد السائد مازالت تفعل فعلها في مفكري الأمة وطلابها من أهل هذا العصر، ومنها قولهم ترجيح العقل على النقل، هؤلاء يخاطبهم النورسي بلغة

1- ينظر كتابنا الفكر الإسلامي المعاصر- دراسة في التدافع الحضاري - ص 130 ومابعدها.

استهزائية فيقول: "أعلم أيها المتفلسف المرجح للعقل على النقل، فتأول النقل بل تصرف، إذ لم يسع عقله المتفسخ بالغرور والتغلغل في الفلسفيات إنني كنتُ -في حين- كما كنْتَ، ثم شاهدت[1] قصرا شاهقا شارقا اتصل سطحه سقف السماء قد أرسلت متدلية من شبابيكها العالية زنابيل متفاوتة، حبالها في المبدأ و المنتهى، فبعضها قريب من الأرض فيقذف الإنسان الموفق نفسه في ذلك الزنبيل، فيرتفع إلى أعلى المنازل، وبعضها أخفض مبدأ وأرفع منتهى، وهكذا... ثم رأيت بعض الناس الخاسرين المغرورين لايبالون بتلك الزنابيل، فيتشبثون للصعود... وشاهدت بعض المعتمدين على أنفسهم المتفرعنة، يدقون مسامير في جدار القصر فيضعون أرجلهم عليها متصاعدين، فيخرون فتندق أعناقهم وهكذا... ورأيت أن ما جهزوا به من مكاسبهم وآلاتهم إنما أعطوها ليستعملوها على قدر الإستعداد أو التوفيق في الصعود إلى الزنبيل لا إلى المنازل... فعقلك عقالك، وبالنقل نقلتك، ومن توكل على الله فهو حسبه"[2]

[1]- المشاهدة هنا هي مشاهدة تمثيل لا مشاهدة رؤيا أو حلم.

[2]- الرسالة الخامسة في المثنوي العربي النوري ص 191، وانظر التعليق في هامش الصفحة.

6- بناء الإنسان عند بديع الزمان

6-1- تقديم :

لما لاحت أهمية الإنسان في الوجود لذوي البحث والعلم والبيان تظافرت عليه الجهود بالبحث ، وتزاحمت عليه بالتشريح والتمحيص .. كل أخذه من جهة: فبعضٌ أخذه من جهة تربيته، وبعضٌ تناوله من جهة نفسيته، وبعضٌ تفرغ للناحية البيولوجية ، وبعضٌ اهتم بعالمه الباطني من جهة القلب والروح، وبعضٌ اهتم بتاريخه وبعضٌ بجغرافيته، وبعضٌ بفنونه الأدبية والفلسفية والاجتماعية...

وحصل التخصص في الإنسان، وانقسمت جهود هؤلاء — منجهيا ومعرفيا- إلى قسمين : جهود علمية استهدفت الناحية الطبيعية والاتجاه المادي في الإنسان، تلك التي تبحثها البيولوجيا والطب والميكانيكا في أدق التخصصات، وقسم استهدف الجانب الفكري والاتجاه الثقافي فيه، تلك التي تبحثها العلوم الإنسانية .

غير أن هذه جميعا جزأت الإنسان، كل تيار أو مذهب تناوله في جزء، ولم تفلح نظريات هذه التيارات في تقديم صورة حقيقية ومعقولة عن **إنسانية الإنسان** بما فيها **الحركة الإنسانية** HUMANISME التي ظهرت في أوربا لرد الاعتبار للإنسان في إنسانيته ، بل لم تفلح هذه التيارات كلها حتى في التعبير عن المفهوم الحقيقي لإنسانية الإنسان تعبيرا دقيقا ومعقولا.

طبعي جدا أن يعايش بديع الزمان ما يجري في واقع الإنسان، وما يدور في دنياه ، وهو الذي عاش القرنين: التاسع عشر والعشرين ، وتحرك رحمه الله لإنقاذ الإنسان بدافع من أمرين:

ـ اقتناعه بأن الإنسان هو قطب الرحى في الوجود بأكمله (فمفتاح العالم في يد الإنسان وفي نفسه)[1] ، والحق سبحانه (أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح به كل أبواب العالم ، وطلسما يفتح به كنز خلاق الكون)[2].

ـ وقوفه على فشل العلوم والنظريات في خدمة الإنسان ، وفي التعبير عن إنسانيته..

لهذين الأمرين صاح صيحة **المنقذ من الضلال** بأفكار وتوجيهات **موصلة الى ذي العزة والجلال** ، وهي صيحة تباينت عن صيحات السابقين والمعاصرين .. صيحة نوعية ، **تنتعل**[3] القرآن الكريم الذي وجدت الإنسانية فيه ضالتها المنشودة ، **وتنتحل** ما جاء في مختلف النظريات عن الإنسان.. انتحال مزدوج : أخذ وتقويم ، ورد ونقض، وقد مكنه هذا من أن يقدم للإنسان في نهاية الأمر خطابا دسما، مشبعا بالحقائق والأدلة والأمارات الدامغة، ومعبرا عن إنسانيته...

[1] – المثنوي العربي النوري .. ص 321 .

[2] – المصدر السابق .

[3] – الإنتعال هو بالمعنى الإيجابي للكلمة، يعني لبس القرآن والاحتذاء بما فيه.

ولذلك فكل إنسان يشعر في خطاب النورسي بإنسانيته، يشعر بعلاجه من الداء الذي ألم به حتى ولو لم يكن على مستوى كبير من الإطلاع على النظريات القديمة والحديثة ، وعلى العلوم الطبيعية والتطبيقية.

الإنسان... أي شيء هو أهم من الإنسان؟، لا يوجد لا في ماضي الإنسان ولا في حاضره من هو أهم منه، ولا يوجد لا في المستقبل القريب ولا في المستقبل البعيد من هو أهم من الإنسان ... فالإنسان أهم من علومه، وأهم من حقوقه، وأهم من الأشياء الموجودة حوله... لذلك أيقظ القرآن الإنسان من غفلته:

(يا أيها الإنسان، ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي سورة ما شاء ركبك)[1] .

وفي سورة الإنسان يقول الخالق الرحمن : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)[2] .

وأي شيء هو أخطر من الإنسان إذا جحد وكفر .. أي شيء أفظع منه إذا زاغ وانحرف وخرج عن الحد ؟، (قتل الإنسان ما أكفره، من

[1] – سورة الإنفطار آية 6 .

[2] – سورة الإنسان الآية (1 – 3).

أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره، ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره)[1].

جاء النورسي ليغرف من حقائق القرآن ليقدم للإنسان حقيقته عن نفسه في أطباق شهية، فيها كل ما لذ وطاب.. تأمل أيها الإنسان في هذا الخطاب، واقطف منه ثمرات سر الحجاب، تجد نفسك أمام باب وباب بل أمام أبواب، يقول: (إن الإنسان مبتلى بالنسيان ، وأسوء النسيان نسيان نفسه ، إلا أن نسيان النفس إن كان في المعاملة والخدمة والسعي والتفكر فهو الضلال ، وإن كان في النتائج والغايات فهو الكمال، فأهل الضلال وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر..)[2].

مات بديع الزمان الموتة الطبيعية لكنه مازال حيا الحياة الحقيقية، حي بالتركة التي خلفها لإنسان الإسلام والتي تتجسد في موسوعته الإيمانية الرائعة، هذه الموسوعة التي تجيب على أغلب تساؤلات الإنسانية في عالم فساد الروح تحت ظلال حضارة القرن.

كيف بدأ النورسي هذه التجربة؟ وكيف خاطب الإنسان ؟ وكيف عبر عن إنسانية الإنسان ؟ ذلك ما تحاول المباحث القادمة أن تعرضه.

[1] – سورة عبس الآية (17 – 22) .

[2] – المثنوي العربي النوري.. ص: 410 .

6-2- تجربة النورسي في الإهتمام بالإنسان :

لكل باحث في عالم بحثه تجربة يحكيها، ولكل مصلح في مجال الإصلاح الشامل قصة يرويها، وللنورسي في تجربة **بناء الإنسان** قصة، قصة تمت في دار الحكمة الإسلامية ، حيث من هذه الدار خرجت الفكرة إلى الوجود... أحس النورسي أنه في هذه الدار يعالج هموم الأمة وأمراض الأمة.. غير أنه أحس إحساس العالم المؤمن أنه هو نفسه في حاجة إلى علاج، وأنه مصاب بأمراض كثيرة، فالأولى بالمعالج أن يعالج أمراض نفسه قبل أن يقدم على معالجة غيره، لأن معالجة الغير ستكون معالجة فاشلة إذا كانت من موقع المرض... كان كتاب **فتوح الغيب** للشيخ عبد القادر الكيلاني هو بداية الشعلة، كما كان كتاب **مكتوبات** للإمام أحمد الفاروقي السرهندي هو متمم هذه الشعلة ومكملها في ضوء حيرة الدليل والانقياد ، لن نستطرد في عرض هذه التجربة التي انتهت باتخاذ القرآن دليلا، لا الشيخ ولا شيخا بعينه دليلا،[1] ومن منطلق القرآن = الشيخ استطاع النورسي أن يداوي أمراض نفسه، وأن يعالجها بعقاقير من صيدلية التوحيد، فتقوت نفسه وصحت، وسلم جسمه وبدنه، وأصبح صلبا قابلا لمواجهة الأمراض، وقادرا على تخطي العقبات، وهكذا خرج فارسا إلى ساحة الوغى ، يحمل سلاح الإيمان في معركة الحضارة ، ويرفع صوته بالإصلاح في ساحة الفساد ، وهو فساد تنوع

[1] – راجع ذلك في المثنوي العربي النوري ص: (24 – 25).

وتعدد وتقوى ... واختار أن يتوجه بنفسه إلى الإنسان ... كل الإنسان ... وفيما يلي عرض لأصناف شتى من طبقات الإنسان .

6-3- طبقات الإنسان في خطاب النورسي :

لما كان القرآن هو شيخ النورسي وإمامه ودليله ،ولما كان القرآن يخاطب أصنافا شتى من البشر توجه النورسي بخطاب إلى أصناف شتى من البشر، وقبل أن يفعل ذلك عَرَّضَ بالقرآن فقال: (**اعلم أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء ، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المجدين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا ..**) [1] ، وهذا الوصف هو نفسه وصفة من أوصاف العلاج يحث النورسي فيه الناس – كل الناس – على مداومة قراءة القرآن، لما ضمن فيه الحكيم الخبير أكثر المقاصد في أكثر السور [2].

لم يقدم النورسي نفسه بديلا عن القرآن ، ولا وسيطا بين الإنسان والقرآن، وإنما اختار أن يكون دالا وموجها ومنبها ومذكرا... وهذا هو مطلب القرآن من الأنبياء(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)[3]، وهو المطلب نفسه من العلماء، "**والعلماء ورثة الأنبياء**" كما في الحديث[4] .

---

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 375 .

[2] – انظر المصدر السابق .

[3] – سورة ق الآية 45 .

[4] – حديث مرفوع أخرجه ابن ماجة في سننه رقم 223 ، وانظر كنز العمال برقم 28679 .

الإنسان في خطاب النورسي على أصناف بمعايير مختلفة، فمن معيار العلم والجهل على صنفين : صنف من العوام وصنف من النخبة، أوجد النورسي لكل صنف ما يلزمه، إيمانا منه أن الهداية لابد وأن تكون عامة لكل الناس، لا فرق بين عامهم وخاصهم، ووقوع هذا التصنيف في الإنسان هو قديم جديد، لا يخلو عصر من خير وشر، ولا يخلو من علم وجهل، ولا يخلو من هداية وانحراف.. وهذا يعطي في المقابل صنفين آخرين : صنف من أهل الإعتقاد، وصنف من أهل الإلحاد، وفي رسائل النور ثروة هائلة من الأفكار لأهل الاعتقاد تخصهم وتخص حاجتهم، وهؤلاء على أصناف:

- الصنف المبتدئ الذي يريد الهداية لنفسه، يخرجها من مجال الجهل إلى مجال العلم، ومن مجال الأمية بالإسلام إلى مجال العلم به وبأحكامه، هذا الصنف لا يستثنى من خطابه ولا يلغى من اهتمامه.

- الصنف الذي سلك الطريق، لكنه مازال في الطريق، ويطمح إلى الوصول بسلام،هذا الصنف يجد في فكر النورسي نظريات تعين على السير، وأفكارا تساعد على الوصول...

- الصنف الزاهد، الراغب في تخلية النفس من الأدران وتحليتها بأنوار الإيمان.

- الصنف العالم الذي زاحمت فطرته براتين الفكر الطبيعي وسموم التصورات المادية... يجد في فكر النورسي الملجأ والخلاص منها ، يجعله

النورسي يراها وهي تتساقط من الأس ، وتنهار من القاع، وبعد هذا وقبله يشعر وهو يطالع رسائل النور بنماء عقله وشحذ خياله، والزيادة في إيمانه...

أما **أهل الإلحاد** فلهم في رسائل النور مواضيع خاصة، ومؤلفات خاصة، تخصهم وتخص مظهرهم ومخبرهم، وسائلهم وغاياتهم ، مناهجهم ورؤاهم... الخ، وهم وإن كانوا أصنافا وأنواعا وألوانا فتيار واحد يجمعهم، هذا التيار هو تيار الفلسفة المادية التي رسخت الفكر الطبيعي في النفوس فألقت بالكثيرين في الكفر، والكفر ملة واحدة، وهذا التيار كان وراء مظاهر الفسق والفجور والزندقة والانحلال، ولا يتوانى النورسي في أن يحمل أوربا والغرب بحضارته وثقافته وعلومه مسؤولية فساد الإنسانية كلها .. وإنسان الإسلام منها.. لذلك نراه يخاطب أوربا ناقدا ومعيبا بقوله: (اعلم يا أيها الأوربا)[1] وبصيغة (فيا أوربا)،[2] ثم يتوجه إلى الشباب المسلم في شخص الشباب التركي ناصحا ومحذرا من الوقوع في شرك الفكر الطبيعي الأوربي(فيا شبان الترك...)[3]، كما حضيت المرأة في خطابه باهتمام كبير، خاطبها خوفا عليها من الوقوع في نفس الجرف، خاطبها كزوجة وكوالدة ، وكمربية

[1] – انظر المثنوي العربي النوري ص : 268 .

[2] – المصدر السابق ص: 269 .

[3] – المصدر السابق ص: 272 .

وكعاملة، وكبدوية وكمدنية وكعجوز وكشابة... [1]، لكنه في بعض الأحيان لا يتوانى في مخاطبة تيار الإلحاد بنعت : (يا أيها الضالون الغافلون) [2]

هكذا تتعدد أصناف الناس في خطاب النورسي حتى الأدباء والشعراء والفلاسفة وعلماء الطبيعة والمتكلمون والقدرية ... كل هذه الأصناف تجد نفسها في خطابه [3] ، والدليل على ذلك الموائد المستديرة، والمؤتمرات والندوات والأيام الدراسية التي نُظمت لدراسة جهود النورسي ، والتي حضرها عدد كبير من المهتمين والباحثين والمتخصصين ، منها هذا اللقاء العلمي[4] الذي تقف فيه هذه الطائفة من أهل العلم على عتبة باب حديقة رسائل النور الزاهرة، والتي يخرج فيها النورسي العالم ـ لا نورسي الجسم والجسد ـ ليأخذ الواحد تلو الآخر برفق شارحا وموجها ومجيبا على كل حال وعلى أي سؤال...

[1] – راجع في هذا كتاب "مرشد أخوات الآخرة" ـــ من كليات رسائل النور 5 ـــ ترجمة إحسان قاسم الصالحي ـــ مؤسسة سوزلر للنشر ـــ الأولى 1998 م .

[2] – انظر المثنوي العربي النوري ص: 354 .

[3] – انظر على سبيل المثال لا الحصر المصدر السابق ص: 39 ـــ ص: 368 ـــ ص: 382 .

[4]– نقصد بذلك لقاء تطوان، انظر المقدمة ص 10

6-4- خطاب النورسي للإنسان جزءا وكـلا :

من فرط اهتمام النورسي بالإنسان، ومن شدة غيرته الإيمانية عليه تناوله بصيغتين إحداهما متضمنة للأخرى ، الصيغة الأولى صيغة جزئية والصيغة الثانية صيغة الكلية، نعرض للأولى ثم نثني بالأخرى .

6-4-1- الصيغة الجزئية : وهي تتناول الإنسان في أهم أجزائه، اختار النورسي من هذه الأجزاء: الروح والنفس والقلب والعقل .

أ- مخاطبة الروح : أدرك النورسي أن التوجه إلى روح الإنسان هو توجه الى ماهيته وصلبه، توجه الى كنهه وحقيقته.. أو ليست الروح هي حقيقة الإنسان ؟ إذا فسدت روحه أي شيء بقي فيه ؟

صحيح أن الروح كائن لطيف ، وجوهر غير جسماني خفيف لا يجري عليه الفساد[1] ، لكنها إذا كانت في جسم فاسد تتضايق بالفساد ، وترجو الخلاص قبل الميعاد، لكن مع ذلك لها فِعْلٌ في الجسد، ولها عَمَلٌ في الذات، وهذا يدل على أن لها قابلية يحددها النورسي في وجهين : قابلية للذات غير متناهية، وآلام محصورة من جهة جامعية ماهية الإنسان ، وكثرة جهازاته بلا حد، ومن جهة تلذذه بتنعمات أولاده وإخوانه من نوعه أو جنسه أو إخوانه من أجزاء الكائنات ، وتألمه بتألماتها[2] .

[1] – انظر تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ص: 218 .

[2] – المثنوي العربي النوري ص: 414 .

لذلك يختار النورسي الروح ليذكرها بأصلها العلوي المتسامي، يقول : **(وإن اضطرابات الأرواح من الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة المنجرة إلى الاستنكار ثم إلى محالات متسلسلة في تفويض الأكوان إلى أنفسها وأسبابها تلجئ العقول والأرواح للخلاص من مرض الاضطراب والتشفي منه إلى امتثال أمر" ففروا إلى الله "** [1]، **" ألا بذكر الله تطمئن القلوب"** [2] ، **"وإلى الله ترجع الأمور"** [3] **الذي بقدرته يحصل الإيضاح لكل مشكل ، وبذكره تطمئن القلوب،نعم لا مؤثر في الكون حقيقة إلا الله)**.[4]

نعم، إن الروح تضطرب بسبب البعد عن الله، وبسبب الوحشة حين تحس بأنها غريبة عن الأعراض ، وذلك حين تكون الأعراض فاسدة، يختار النورسي تذكيرها بالتوجه إلى الخالق الفاطر الذي إليه ترجع كل الأمور، وهنا يصبح للروح عملٌ تجاه القلب والعقل، وهو تخليصهما من كل الأدران.. هذا إن كانت لهما قابلية للخلاص، لذلك اختار أن يتوجه إلى النفس فيحصي أنواعها وأمراضها، وأن يخاطبها لتزكو هي الأخرى، وتشق طريقها نحو الطهارة المعنوية.

[1] – سورة الذاريات الآية: 50 .

[2] – سورة الرعد الآية : 28 .

[3] – سورة فاطر الآية : 4 .

[4] – المثنوي العربي النوري ص: 121 .

ب ـ مخاطبة النفس : (النفس) عند النورسي لها تسميات ونعوتٍ وأوصاف، لكن عند إرجاع الأمور إلى أصلها بتحكيم القرآن يزول اللبس ويحل الإشكال.

حين يخاطب النورسي "النفس الإنسانية" من دون التقيد بنعتٍ أو وصفٍ فتلك هي **النفس السوية**، وهي النفس الأولى التي خلقها الله مفطورة على التوحيد، ومجبولة على العبادة، (ونفس وما سواها)[1] ، ثم انقسمت هذه النفس إلى نوعين: النفس التي زكت سليمة ، وربت مستقيمة وهي المشار إليها بقوله: (قد أفلح من زكاها)[2] ، وهذه من أصنافها: **النفس اللوامة والنفس المطمئنة** وغير ذلك من أوصاف الخير والفضائل التي تتقلب فيها النفس الزكية .

والنوع الثاني النفس التي دست في الآثام ، وانغمست في أوحال الخطايا، وهي المشار إليها بقوله: (وقد خاب من دساها)[3] ، وهي أيضا أصناف شتى بحسب ما تحلت به من الرذائل والآثام ، وأكثر خطاب النورسي هو لهذا النوع من النفس، فهي:

---

[1] – سورة الشمس الآية : 7 .

[2] – سورة الشمس الآية : 8 .

[3] – سورة الشمس الآية : 9 .

ـ إما نفس أمارة بالسوء ، يقول : (فيا نفسي الأمارة بالسوء ...)[1]

ـ وإما نفس جاهلة ، يقول : (اعلمي يا أيتها النفس الجاهلة ...)[2]

ـ وإما نفس مشؤومة يقول : (اعلمي أيتها النفس المشؤومة ...)[3]

ـ وإما نفس بلهاء .[4]

ـ وإما نفس متضجرة قلقة [5].

ـ وإما نفس ضالة، أضل من الغنم[6].

نتوقف عند بعض الأصناف في النوع الثاني والتي قصدها بديع الزمان، لقد خاطب النفس الأمارة بالسوء بخطاب صريح وواضح،[7] ليذكرها بأنها دائما متهمة حتى ولو ظهرت أنها بريئة ... متهمة حتى في أحسن مطالبها.. وهذا وصف معقول.. فالآمر بالظلم والذي لا يصدر عنه إلا الظلم هو في موضع التهمة دائما حتى ولو لم يصدر عنه ظلم في لحظة من اللحظات أو حتى في سائر اللحظات ، وحتى المطالب التي تظهر أنها بريئة إنما هي متهمة فيها،

---

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 209 .

[2] – المصدر السابق ص : 239 .

[3] – المصدر السابق ص : 214 .

[4] – المصدر السابق ص : 224 .

[5] – نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[6] – المصدر السابق ص : 239 .

[7] – المصدر السابق ص : 344 .

فالـنفس الأمـارة حـين تطلب الآخرة فبالتراخي .. وهي تجعل مطلبها للآخرة سببا لكسب الدنيا.. فهي عاشقة للدنيا..

وأمـا **الـنفس العاشـقة لنفسها**- كذا سماها النورسي — فهي لا تستند إلا على مظاهر وجودها، والحكم على مسعاها هذا هو أنها لا تكتفي إلا بقطرة سراب عن بحر ماء الحياة .[1]

ويضـطر النورسـي في بعـض المقامات إلى أن يقابل بين صنفين متضادين مـن أوصـاف الـنفس ، كـل صـنف ينتمي إلى نوع، فهو حين يخاطب **النفس الكافـرة أو الغافلـة** — وهـي شـر أصـناف النفوس في النوع الثاني — يخاطب **الـنفس المؤمنة العارفة** ، وهي أفضل أصناف النفوس في النوع الأول، **النفس الكافرة أو الغافلة** أثبت لها حالةً وهي أنها في وقت الغفلة تسلب الكل باطنا وإن أثبتـت ظاهـرا، **والـنفس المطمئـنة العارفة** أثبت لها حالة تليق بوصفها لكونها عارفة ، تثبت الكل له إيمانا وإذعانا [2] .

إن الـذي حفـز النورسـي على مخاطبة النفس البشرية بتلك الأوصاف والأنواع هو ما عاناه هو نفسه مع نفسه، وهي معاناة قاسية وشديدة فقد توجه بالخطاب إلى **نفسه** في مواطن كثيرة من رسائله، بصيغة: (إعلمي يانفسي)، (إعـلم يا أنا)[3] ، وبقدر ما كان يحضها على ارتقاء سلم الفضائل كان يحذرها

[1] – المصدر السابق الصفحة نفسها .

[2] – المصدر السابق ص : 368 .

[3] – المصدر السابق ص: 132 و 242 .

مـن الوقـوع في أمـراض الـرذائل، وكـان يحدد هذه الرذائل ويسميها من مثل: أمراض اليأس والغضب والغرور وسوء الظن [1] ...

لا تنـتقر يـا صـاحب الـنفس من قساوة عباراته ، ومن غلظة ألفاظه في بعـض الأحـيان ، ومـن شـدة نقـده لك ولنفسك لأنه فعل ذلك في نفسه وعلى نفسـه، والـبادئ بنفسـه لا يلام — كما يقال – ، تأمل هذا الكلام الذي يقول فـيه: (فيا أيها السعيد — يعني اسمه سعيد — المسكين المغرور أنت نقطة في وسط سلسلة الموجودات ، فعليك نعم بعدد ما تحتك من العدم الصرف، وأنت مسؤول عن شكرها)[2] .

لقـد نـبه إلى أمـر هـو في غايـة الأهمية ، إذا تحقق هذا الأمر تحققت سـائر الفضـائل ، وانهـارت سائر الرذائل، فإذا كانت النفس أحب للإنسان مـن غـير نفسـه فـلا ينبغي أن تكون أحب إليه من حب ربه، فالنفس مهما كانـت قريـبة مـن الإنسـان — وهذا سبب التعلق بها — فالله أقرب إليه من نفسـه ،[3] فعلـيه أن يُؤْثـر حب الله على حب نفسه (والذين آمنوا أشد حبا لله) [4] ، وأن يقـدم حـب رسـوله صـلى الله عليه وسلم على حب نفسه وحب من معه ، وفي الحديث :

[1] – المصدر السابق ص: 128 – 129 .

[2] – المصدر السابق ص: 242 .

[3] – المصدر السابق ص: 419 .

[4] – سورة البقرة الآية : 165 .

(لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1] .

هذه هي النفس، وهذا هوعالمها بقدر ما يسمح به المقام، فماذا عن القلب؟

ج ـ مخاطبة القلب : القلب قلبان ، قلب شقي وقلب تقي ، للشقي أوصاف ولتقي أوصاف، وقد ينقلب الأول إلى الثاني والعكس ، ولذلك سمي بالقلب لأنه يتقلب ، (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)[2] ، وهذه الأوصاف كلها شهد بها القرآن ، غير أن النورسي نراه يخاطب القلب الواحد من دون نوع ولا وصف، وهي مخاطبة تقع على خلاف ما فعل في النفس، ولعله يريد من القلب أن يكون (واحدا) غير متعدد ، و(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)[3]، أراده أن يثبت على الحق ، ولا يثبت على الحق إلا إذا امتلأ بالإيمان ، فالقلب وعاء لا بد من ملئه بالقرآن، وقديما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنما هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره)[4]، فإذا أراد القلب أن يتقلب جريا على عادته فلينقلب بالخشية، وإذا أراد أن يثبت فليثبت على الذكر، والقلب — كما يراه النورسي — ما خلق للإشتغال بأمور الدنيا قصدا، ومن هنا فهو مرآة

[1] – حديث أنس ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، 58/1 رقم 15 .

[2] – سورة النور الآية : 37 .

[3] – سورة الأحزاب الآية : 4 .

[4] – انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي ص: 54 .

الصمد [1] ... هذه هي **الحركة القلبية** التي أرادها النورسي لقلب الإنسان، يريده أن يبقى على فطرته ولا يتغير حتى لا يتعدد ويتنوع ، ولكي يكون كذلك بسط له الدواء في حقيقة الشهادة (لا إلاه إلا الله)[2] ، وفي حقيقة التسبيح في (سبحان الله)[3] ،وفي حقيقة التحميد ب(الحمد لله)[4]، وفي حقيقة التكبير ب (الله أكبر) ومراتبها الثلاثة والثلاثين [5] ، وفي حقيقة الحوقلة ب (لا حول ولا قوة إلا بالله)[6] ، وفي حقيقة الحسبنة (حسبنا الله ونعم الوكيل)...[7]

وحقيقة هذا الزاد بالنسبة للقلب هي كحقيقة توقف حياة الإنسان المادية على الهواء والماء والغذاء والضياء ، فمثلما أن الإنسان في حاجة في كل آن إلى الهواء، وفي كل وقتٍ إلى الماء، وفي كل حين إلى الغذاء، وفي فترات إلى الضياء لتستقيم حياته كذلك القلب ، فحياته في ذكر الله بما شرع الله وسن من أمور الذكر، ولا يسأم من التكرار، لأن تكراره ليس تكرارا وإنما

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 223 .

[2] – المصدر السابق ص: 107 .

[3] – المصدر السابق ص : 134 .

[4] – المصدر السابق ص: 136 .

[5] – المصدر السابق ص: (143 – 154) .

[6] – المصدر السابق ص: 247 – 248 .

[7] – المصدر السابق ص: 248 .

هـو ضـرورة تسـتقيم بهـا حـياة القلـوب مـثل الهـواء والمـاء والغـذاء والضياء بالنسبة لحياة الجسد.[1]

وجـريا عـلى عادتـه بـدأ بقلـبه، فـتوجه إليه بالنصح والبيان وبالدليل والبرهان ، يقول : (إعلم يا قلبي أن لذائذ الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا ولو كانت جنة فهي جهنم، هكذا ذُقْتُ وشَاهَدْتُ ... [2]

(إعـلم يـا قلـبي أن كل ما يجري في هذه الدنيا له وجهان: وجه إلى الدنيا و النفس والهوى، ووجه إلى الآخرة ... [3]

هكـذا يـتكرر مـثل هذا المطلع في مقاطع كثيرة (إعلم يا قلبي)، وهو لا يـريد مـن ذلـك إلا قلـب الإنسـان في الإنسـان ولا يقصد إلا الإنسان من خلال قلـبه، وقـد بـدأ بقلبه ليبقى وفيا لشرطه وهو عهد أخذه على نفسه في حكاية الـتجربة [4] ، ومـا قلـبه في بدايـة المطـاف ونهايـته إلا قلـب الإنسـان نفسه، الإنسـان الـذي اخـتاره النورسـي موضـوعا له، ولكـي يتمم مشور بناء الإنسان توجه هذه المرة إلى مكون مهم فيه وهو (العقل).

[1] – المصدر السابق ص: 232 .

[2] – المصدر السابق ص: 203 .

[3] – المصدر السابق ص: 203 وانظر ص: 263 .

[4] – راجع (تجربة النورسي في الإهتمام بالإنسان) في هذا العمل، ص : 69 ومابعدها.

د ـ مخاطبـــة العقـــل : يخاطب النورسي العقل لغرض أن ينقذه مـن بعض الأسقام التي ورثها من المحيط الإجتماعي، وهو المحيط الذي أطلق عليه المحيط الزماني والمكاني ، طالبه بالتجرد من تأثيره، وقد وصف تأثيره بأنـه عظـيم ، طالـبه ليـتجرد بعد ذلك للخوض في بحر الزمان السيال ليتدبر ويـتفكر[1] ، ثـم طالـبه بالـتجرد مـن الأسـقام الـتي ورثهـا من المحيط الثقافي، وأقـوى سقم هو ذاك الذي ورثه من مداومة النظر في كتب الفلاسفة الملحدين ، يقـول في بعـض نقطه : (وقد شاهدت ازدياد العلم الفلسفي في ازدياد المرض، كمـا رأيـت ازدياد المرض في ازدياد العلم العقلي، فالأمراض المعنوية توصل إلى علوم عقلية ، كما أن العلوم العقلية تولد أمراضا قلبية)[2].

في هـذا الكـلام إشـارة واضـحة إلى أن أمراض القلب يتسلل بعضها عن طـريق العقـل.. ولقطـع الطـريق علـيها لابد من تنوير العقل بتجنيبه الأسباب المؤديـة إلى إفلاسـه، وأقواهـا عند النورسي علوم الفلسفة التي تؤدي إلى الفكر الطبـيعي الوثـني، وتغمـس صـاحبها في القـول بالأسـباب ، والإنغمـاس في الأسـباب يـؤدي إلى الخلـط بـين الأمـر الإلهـي والأمـر الإنساني ، بين الفعل الإلهـي المطلـق والفعل الإنساني المحدود والنسبي ، وهذا يعطل وظيفة القلب ويلـوث الـنفس ويضيق على الروح في أبسط حقوقها، أما العقل فيلغى دوره في دائـرة أجـزاء الجسـد، يقـول النورسـي: (**اعـلم يـامن سـدت علـيه الطبيعة**

[1] – حَقّقْ في المثنوي العربي النوري ص: 69 .

[2] – المصدر السابق ص: 158 – 159 .

والأسباب باب الشكر، وفتحت له باب الشرك، أن الشرك والكفران تأسسا على محالات غير محدودة...) [1] .

ويقول : (اعلم أنه كبرت كلمة تخرج من أفواه الناس إذ يقولون : " تشكل بنفسه " و " اقتضته الطبيعة " و " أوجدته الأسباب " فهذه الجمل الثلاث باطلة ، وهي من ظروف المحالات ، إذ أنك موجود، فإما أنت مصنوع بالنظر إلى الجملة الأولى ... وإما مصنوع أسباب العالم كما اقتضته الثانية، وإما مصنوع بطبيعة موهومة وقوة عمياء كما تدل عليه الثالثة ... وإما مصنوع الله كما يستلزمه الحق والحقيقة) ، ثم شرع في تقديم الأدلة الكافية والشواهد الوافية على بطلان هذه المحالات [2]، لأن (العقل الذي يتطاول إلى الإحاطة بالعالم، والنفوذ إلى الخارج ، والخروج من دائرة الإمكان يغرق في قطرة.. ويفنى في ذرة.. ويغيب في شعرة... وينحصر الوجود عنده فيما فنى فيه.. ويريد أن يدخل معه كل ما أحاط به في النقطة التي بلعته) [3] .

إذا كان النورسي يخاطب العقل بهذا الكلام المغرق في باطن القول فلأنه يدرك أن العقل قادر على فك ألغازه ، غير أنه في مواطن أخرى يبسط الخطاب وينزل بالأسلوب إلى درجة السطحية الكاملة، وفي كلتي الحالتين لا

[1] – المصدر السابق ص: 83 .

[2] – المصدر السابق ص : 251 وما بعدها .

[3] – المصدر السابق ص: 225 – 226 .

ينسى دوره كموجه وكناصح، فهو في كل لفتة يسدي نصيحة أو يكشف للعقل عن مهمة أو يريق سما من سموم الفكر الطبيعي الهادم ..

على العقل أن يسعى إلى (التعاون) لأن دستور الحياة – يعني قانون الحياة – يدل على (التعاون) لا (الجدال) ، ومن هنا يحثه على الأول وينهاه عن الثاني ، لأن الأول هو أساس العمارة، وأساس العبادة، وأساس الإستخلاف ، وأساس الأمانة... و (الجدال) هو أساس ضياع هذا كله، فهو سبب الفرقة والتمزق والتشتت... ألم يكن طرد إبليس من الرحمة أساسه (الجدل)؟ .

إن (العمل) المفضي إلى (التعاون) من سنن الأنبياء، والنظر المفضي إلى (الجدل) من سنة الفلاسفة، وشتان بينهما، لذلك نصح صاحب العقل النير بألا يشتغل بالمناظرة مع الملحدين والمتشككين والمقلدين للزنادقة الأوروبيين – كذا – ، فالمناظر هو على خطر عظيم إذا لم تكن نفسه مزكاة ومحصنة بسياج الإيمان [1] ، وعليه أن يشغل عقله بما لأجله وجد، وهو النظر في ملكوت الله ، والتبصر بحكمة في خلق الله،والتدبر بعمق في آيات الكون المنظور والكون المسطور ليخلص بعقله إلى التوحيد الحق.

هذه هي الصيغة الجزئية التي تناول بها النورسي كيان الإنسان، وهي صيغة تتكون من أربعة أزرار: الروح والنفس والقلب والعقل ، توصل إليها لينفذ من خلالها إلى عمق الإنسان.. وقد فعل .. غير أن الإنسان في بعض

[1] – انظر المثنوي العربي النوري ص: 213 .

الأحيان مثلما يتفاعل مع الخطاب الموجه إلى أجزائه يتفاعل أكثر مع الخطاب الموجه إلى كيانه الكلي، لهذا الغرض وجه النورسي خطابا الى الكيان الكلي للإنسان، وهو الموضوع الذي سنتكلم عليه في الصيغة الكلية .

6-4-2- الصيغة الكلية :

يتوجه بديع الزمان للإنسان فيخاطبه في نفسه وقلبه وعقله وروحه بأمل أن تتحد هذه الأزرار في كل واحد، ولتكتمل إنسانيته طالب بإحياء وظائفها، واستخدامها لأغراضها، لقد لاحظ أن وظائفها تعطلت، وأنها صرفت في غير مجالها، لذلك اضطربت اضطرابا مزعجا، اضطراب ناشئ من أمراض العصر.

قبل أن تكون للنفس وظيفة مستقلة، وأن تكون للقلب وظيفة مستقلة وكذلك العقل، فلكل واحد من هذه العناصر وظائف تجاه بعضه البعض، فللقلب وظيفة تجاه العقل،وللعقل وظيفة تجاه النفس، وللنفس وظيفة تجاه القلب، وهكذا،يبين ذلك في عبارة جامعة فيقول: (إن عقلي قد يرافق قلبي في سيره ، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي)[1].

لكي يحصل الإستئناس بين الإنسان وسائر الموجودات نبه النورسي الإنسان إلى أن في وجوده دوائر متداخلة، ومصنوعات متراكبة، فهو نبات

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 417 .

وحيوان وإنسان ... ثم يعود لينبه إلى **جامعية فطرته**، وما أدرج الفاطر الحكيم فيه من مدخرات رحمته، ثم تابع حواسه الواحدة تلو الأخرى مبينا نفعها وصلاحها فيه، ووظائفها هي الأخرى ودورها في استقامة جسمه وقوام بدنه .[1]

ومزايا **جامعية فطرة الإنسان** تتجلى في فهمه لتحيات ذوي الحياة للفاطر الحكيم، وفهمه لكلام نفسه، وفهم كلام النفس هو استخدام الحواس في فهم المقاصد من وجودها، وبهذين الفهمين يفهم الإنسان نفسه وغيره في آنٍ ، وبين الكل عناصر مشتركة ، فقيمة كل منها بمقدار نفسه، وقيمة الإنسان المؤمن بمقدار الكل، بل كل فرد عند النورسي هو كنوع سائر الأنواع[2] فيه تتجسد حقيقة الكل، كل إنسان هو (الإنسانية)، وكل الإنسانية هي(إنسان واحد) ، فليختبر كل إنسان نفسه ليجد أن الكل فيه، فهو يقاسم الكل نفس الشعور ونفس المصير، لكل فرد فرد ماض وحاضر ومستقبل، فإذا مات فرد أو فردان مات جزء من كل الإنسان، وإذا ازداد فرد أو فردان ازداد جزء في كل الإنسانية، الشخص الواحد كأنه الإنسانية كلها، وإذا كان كذلك فهو في عين الحقيقة فرد كلي (وإحاطة فكره وعقله وسعة قلبه وغيرها تعطيه نوع كلية)[3]، (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)[4] .

[1] – المصدر السابق ص: 337 .

[2] – المصدر السابق ص: 340 .

[3] – المثنوي العربي النوري ص: 245 ، قرر هذا أيضا الإمام الغزالي في كتاب الشكر ، انظر تعليق الشاطبي في الموافقات362/1 – طبعة دار عفان .

[4] – سورة المائدة الآية 32 .

من منطلق ما سبق يحدد النورسي للإنسان وظيفة حياته وقيمة وجوده وصورته الحقيقية.

وظيفة حياته تنحصر في مسألتين ، إحداهما مترتبة على الأخرى: الأولى شهادته بجامعية فطرته لتحيات ذوي الحياة لواهب الحياة، والثانية الشهادة عليها.[1]

قيمة وجوده تتحدد بقيمة ما فيه من الصنعة العالية والصبغة الغالية، وقيمة الإنسان الكافر قيمة مادته الفانية الساقطة[2]، هذا هو فيصل التفرقة في عنصر "قيمة الإنسان"، كل واحد من هذين يتصور قيمته بحسب ما فيه بما يؤمن به ويعتقد.

أما **صورته الحقيقية** فهو مرآة تعكس قدرة وقوة الباري، فقد(خلق ليكون فاتحا وكاشفا مريئا، وبرهانا نيرا، ودليلا مبصرا، ومعكسا نورانيا، وقمرا مستنيرا للقدير الأزلي ، ومرآة شفافة لتجلي الجمال الأزلي)[3] .

هذه هي حقيقة الإنسان عند النورسي، وهي حقيقة تم التوصل إليها عبر النظرة الكلية له، وعبر تناوله تناولا شموليا، حقيقة بنيت على وظيفته

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 341 .

[2] – المصدر السابق ص: 371 – 372 .

[3] – المصدر السابق ص: 299 .

في الحياة ، وعلى قيمته في الوجود، وعلى صورته الحقيقية... لكن كيف تمت هذه الحقيقة للنورسي؟

لقد لاحظ النورسي أن هذه الحقيقة أُخِذَتْ من جهتين: الجهة الأولى **النبوة**، والجهة الثانية **الفلسفة**، طبيعي أن يحصل التعاكس والتضاد بين النظرة التي جاءت بها النبوة عن الإنسان ونظرة الفلسفة للإنسان ، هذا التعاكس والتضاد الواقع بين النظرتين إنما هو نابع من التنافي والتجافي الواقعين بين النبوة من جهة والفلسفة من جهة أخرى.. لا يخفي النورسي ميله إلى ما جاءت به النبوات عن الإنسان، لقد مال إليها ليدحض الأطروحة الفلسفية ، لأن هذه الأطروحة هي الوبال القاتل لحضارة الإنسان ، وهي أساس شقاء الإنسان المعاصر[1]، لابد إذن من (إنقاذ الإنسان) ، وهذا الإنقاذ لن يكـــون إلا ب (العلم)، فإنسانية القرن إنسانية جاهلة، غافلة ومتغافلة ،تنساق مع الدعاوى السطحية والأفكار البراقة الخادعة.. جاء النورسي ليعلم وليذكر للعلم، لذلك كان يبدأ خطابه دائما ب (إعلم) ، وعن (إعلم) يقول: **(إن كل مسألة افتتحت ب (إعلم) سلاح قاطع، ودواء نافع، أعطيته من حيث لا أحتسب في وقت شدة احتياجي وكثرة جروحي، فليس لي في الكتاب مال إلا ما ليس في الكتاب من الألم والجرح والداء المستتر في**

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 322 – 323 .

الضمير، وأما المذكور في الكتاب من الدواء والسلاح وذوق الحق فليس مني، ولا مما مضغه فكري، بل من فيض القرآن الكريم)[1].

(فاعلم أيها الإنسان)[2] في خطاب النورسي هي أفكار تمت بالعلم، ومصدر هذا العلم القرآن، وقد أشبع خطابه البياني بسر التمثيل، ثم بعد التمثيل يدعو إلى النظر إلى صورة الحقيقة التي أرادها وقصدها بالتمثيل[3]، فالتمثيل وسيلة لبيان الحقيقة ولتجلية غوامضها، فما هي إذن هذه الحقائق التي أراد النورسي أن يذكر الإنسان بها ؟ ، ذلك ما سنعرضه في الفقرة الموالية .

6-5- تذكيره للإنسان بالقضايا المصيرية :

لكي يكتمل بناء الإنسان على الوفق الذي أراده القرآن توجه النورسي ليذكر الإنسانية الغافلة بقضايا أساسية ومصيرية، وعند النظر يتبين أن هذه القضايا جاءت عنده على حالتين : قضايا مجموعة تتكون من ثلاثة عناصر فما فوق، وقضايا مفرقة تتكون من القضية والقضية... نعرضها على نفس الصبغة :

[1] – المثنوي العربي النوري ص: 312 .

[2] – المصدر السابق ص: 264 .

[3] – المصدر السابق ص: 386 .

6-5-1- القضايا المصيرية العامة: اختارها على هذا الشكل لكي يعضد بعضها بعضا ، ولعل من سوء المنهج تناولها بمعزل، إذا كان الإنسان غافلا عن قضايا كثيرة فلا ينبغي أن يغفل هذه القضايا الأربعة[1] المشار إليها بالحروف الآتية :

أ – **النبوة** : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بسط برهانه في رسالة (شعاعات)[2] .

ب– **الكون** بكل ما فيه، وهو الكتاب المنظور، والكلام على هذا البرهان لا يخلو منه خطاب من خطابات النورسي، يدعو الإنسان إلى توسيع النظر في الملكوت، يدعوه إلى تأمل الحيوانات والنظر إلى الجمادات والتبصر في النباتات والتفكر في جميع ما في الكون من السعي والحركة .[3]

ج – **القرآن** الكريم ، دليل النورسي الأول، وشيخه الثابت، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، له فيه تفسير لبعض آيه بلفتات وإشراقات لم يسبق إليها.

د– **فطرة** الإنسان، وهي عالمه الباطني الموصل إلى عالم الغيب وعالم الشهادة.

[1] – راجع هذه العناصر مجموعة في المصدر السابق ص: 425 وما بعدها ، وانظر ص: 67 .

[2]– راجع كتاب (الشعاعات) ص : 172 ومابعدها، و 654 ومابعدها – كليات النور 4 – تأليف بديع الزمان – ترجمة إحسان قاسم الصالحي – شركة سوزلر للنشر – الثانية 1414 هـ – 1993 م – مصر.

[3] – بصفة خاصة ، انظر ص: 274 –275 من المصدر السابق .

هذه العناصر الأربعة هي عناصر توصل إلى الله، وتعرف به، وتكشف على براهينه، ولما كانت هذه البراهين لا تعد ولا تحصى كانت الصلة الدائمة بها وعدم التغافل عنها سر الزيادة في الكشف عن البراهين، كلما ازداد إيمان الإنسان كلما اكتمل بناؤه ، وكلما نقص إيمان الإنسان نقصت لبنة من بناء صرحه (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)[1]، (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[2]، فلما كان النسيان وارداً كان التناسي واردا أيضا، وهو عقاب من جنس الفعل، ولتلافي هذه الآفة كان لابد من التذكير، وقد اختار النورسي أن يذكر بالقضايا المصيرية، قضايا هي في مقدور الإنسان أن يتمثلها ويعيها، بل في كينونة فطرته جبلة الاستجابة إليها، إذا تغافل الإنسان عن القضايا الأربع الأولى فإنه لا محالة كان لما سواها أغفل وأضيع.

ومن الأمور الجامعة التي نبه النورسي إليها أمور سبعة: جسد الإنسان، وحيوانيته، وإنسانيته، وحياته، ووجوده، والمصائب التي تصيبه، ولذائذ الدنيا..[3]

[1] – سورة الزخرف الآية : 36 .

[2] – سورة طه الآيات: (122 – 124).

[3] – راجع المثنوي العربي ص: 222 .

6-5-2- القضايا المصيرية الخاصة : هي من حيث المضمون تلتقي مع الأولى في كثير من المسائل، لكن من حيث طريقة عرضها تختلف معها لكون النورسي اختارها معزولة، مفرقة ، كل واحدة استقلت بسياق، وسنعرض لبعضها:

أ ـ **الموت**: وهي– كما يقول– دليل السرمدية والبقاء[1]، ينبه الإنسان إليها فيقول: (اعلم أيها الإنسان: أمامك مسائل عظيمة هائلة تجبر كل ذي شعور على الإهتمام بها ، منها (الموت) الذي هو فراقك عن كل محبوباتك من الدنيا وما فيها ...)[2]

ب ـ **المقصد من الوجود** : سبق أن تعرضنا لكلام النورسي عن وظيفة الإنسان في الوجود، ونعيده هنا لأهميته، لأن النورسي قصده في مقامات كثيرة من رسائله قصدا ،فبعد أن يذكره بهذه المهمة، وبعد أن يحددها له بالشواهد والأمثال والحكايات ينبهه إلى عدم الوقوع في الخلط بين وظيفتين، هذا الخلط يقع أساسا حين يترك الإنسان (الغافل) وظيفته التي من أجلها وجد ويشتغل بوظيفة ربه، وهو بهذا يكون قد اختار أصعب المسألتين، ترك وظيفة العبودية الخفيفة التي هي في وسعه وحمل على ظهره ورأسه وقلبه الضعيف وظيفة الربوبية.[3]

[1] – المصدر السابق ص : 62 .

[2] – المصدر السابق ص: 345 .

[3] – المصدر السابق ص: 365 .

ج ـ **التميز** عن الحيوان : لما لاحظ أن الإنسان غرق في حيوانيته إلى درجة الحيوان الحقيقي، فمثلما تأتّى لبعض مصلحي القرن الكلام عن (جاهلية القرن) قد يتأتى لبعض آخر أن يتكلم عن(حيوانية القرن) ... نبه النورسي إلى عدم الوقوع في هذه الحالة، ولاجتناب الوقوع لا بد من تفعيل وظائف(الأزرار) السابقة، ولا مجال هنا للكلام عن (العقل) وحده لأن الحيوانية قد تصل إلى درجة من العقلانية والتعقيد بتفعيل عنصر العقل لأجلها...

أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان هو شمول العلاقة بالماضي والمستقبل، وكلية الإدراك بالأنفس والآفاق، وكشف ترتيب العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية، ثم أخيرا التوجه الدائم إلى الله بحسن العبادة بما شرع وسن[1].

د ـ **التحذير من الشك** : لأن للشك لذة لذيذة سرعان ما تنقلب على صاحبها آلاما جهنمية، ولدفع الشك لابد من تقويس أنف الغرور بالركوع في الأوقات الخمسة، ولابد من توسيع الرأس لنزول ضيف الفرقان مع فيض الإيمان، ولابد من التداوي بالتفكر في آيات الله :

تأمل سطور الكائنات فإنها * من الملإ الأعلى إليك رسائل

ثم لابد من ملازمة الطاعات .

[1] – المصدر السابق ص: 333 .

هذه الأمور التي تدفع الشك، وتزيحه عن المرء، بل هي التي تخرق حجاب الظنون والغفلات، وبها تتضح حلاوة النجاة من مرارة هذه الضلالات، وبها ومن خلالها تنكشف لذة المناجاة.[1]

هـ ـ **الاحتياط من الفخر والغرور**: هاتان آفتان تؤخر الإنسان، وتطمس إنسانيته، لأنه ليس له من الغرور إلا الشر والقصور، من ذلك :

ـ أن الشر منه والخير من ربه .

ـ أن شره كلي وخيره جزئي .

ـ أن أجرة عمل الخير اقتطفها قبل العمل .

ـ أن الخير إذا كان لله فالتوفيق منه، والمنة له، وهذا يستدعي (الشكر) لا (الفخر) ،فالفخر يصير خيره شرا مثلما تصير الحسنات سيئات.

ومن جهل بهذا صار مغرورا بنفسه غرورا بغيره[2] .

و ـ **النظرة إلى حقيقة تطوره** :التطور تطوران : تطور مطلق وتطور نسبي، النسبي هو تطور الإنسان في حياته الدنيا، والأدوار التي يمر منها من حالة الضعف إلى حالة القوة فحالة الضعف ... أما المطلق فهو التطور من لاشيء إلى شيء، من حالة الوجود في الجنة الى حادثة النزول الى الأرض، ثم

[1] – المصدر السابق ص: 256 .

[2] – المصدر السابق ص: 365 .

تطـور من حالة الشرك والجهل إلى حالة التعليم والإيمان بفعل دعوات الأنبياء السـابقين، ثـم تطـور مـن هـذا جميعا إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، الشريعة الخاتمة [1].

مـن مـنطلق هذه المواد ساهم النورسي في بناء الإنسان، وهي مواد ساهم في الكشـف عـنها، ليكشـف عـن البناء العظيم للإنسان من منطلق هندسة هذا البناء وروحه الموجودة في القرآن.

بديع الزمان إنسان... خُلِقَ إنسانا فصاح لإنقاذ نفسه وإنقاذ الإنسانية معه.. من منطلق إنسانيته تفاعل مع إنسانية الإنسان فشخص همومه وأحزانه وآلامـه وآمالـه، عـاش حـياته لهذا الغرض ،ووهب علمه في سبيل هذا المقصد يقـول: **(إن هـذه ثلاثـون سـنة ، لـي مجادلـة مـع طاغوتين هما: (أنا) في الإنسان،و (الطبيعة) في العالم)** [2].

[1] – تأمل ص : 70 من المصدر السابق .

[2] – تقدم معنا هذا النص في ص 20، ونعيده هنا لاختلاف المقام، انظر المثنوي العربي النوري ص 28.

6-5-3- خـلاصـة :

نسعى في هذه الخلاصة إلى تقويم جهود النورسي في بناء الإنسان.

1 ـ توجـه النورسـي بجهـد شمولـي وبـنظرة واسـعة إلى الإنسـان، هذا الجهد وهذه النظرة استهدفا الكيان الكلي للإنسان بمختلف الطرق والسبل .

2 ـ خطابـه للإنسان خطابا موضوعيا، ينزل على قضايا حية، ويتناول موضـوعات مصـيرية، وهـي كـلها مـن عـين المشـاكل النفسـية والاجتماعـية والثقافية والعقدية والعلمية...

3 ـ أفكـاره في معالجـة القضـايا الإنسـانية تحلت بالإيجابية والنفعية، تنـبع مـن الغـيرة عـلى الإنسـان، وتتألم بآلامه وتتحسر على الوضع الذي آل إليه، وهو دائما يبدأ بنفسه.

4 ـ عمله في بناء الإنسان عملا مؤصلا ،ينبع من حقائق الشرع، وينطلق من أحكام الدين، دليله وشيخه الوحيد في هذه(الرحلة) هو القرآن الكريم .

5 ـ خطابـه خطـاب علمي تمتزج فيه النظرة الإيمانية والفكرة الفلسفية والصـورة الشـاعرية والأسـاليب البيانـية، يكـثر من التحليل والتمثيل لإيصال قارئه إلى شاطئ الحق... والغرض هو (الإقناع).

إن صيحة النورسي هي صيحة اقتبست من أنوار القرآن، صيحة لإنقاذ الإنسانية الغافلة، بروح مغرقة في الغيرة على النفس والعقل والدين والمال والنسل... فهل يمكن أن نعتبر النورسي مجدد القرن أومن مجدديه ؟ ذلك ما ينبغي أن نفكر فيه... لكن تفكيرنا في إطلاق هذا الحكم لابد وأن يأتي بعد فهم وتمثل واستيعاب(أطروحة) النورسي في تجديد الفهم لأجل إنقاذ الإنسان ... وذلك هو مقترحنا في نهاية هذه الكلمة.

7- خاتمة عامة

الموضوع الذي قدمناه في هذه الخلاصة هو موضوع واسع وعريض، أتينا على أهم عناصره، وبسطنا أوضح قواعده، ووقفنا عند قضاياه الكبرى، القضايا التي تشكل الأسس التي ترسم خريطة الفكر الطبيعي كتوجه فكري وفلسلفي انبثقت منه نظريات، وتولدت عنه مذاهب قادت الإنسانية إلى دهاليز مظلمة، وأنفاق قاتمة، ومسارب مسدودة.

وقد جعلنا من جهود بديع الزمان سعيد النورسي مجالا لبسط الموضوع ومعالجته لسبب واحد هو أنه كان من المهتمين به، فهو خير من وجدناه ينافح ضد هذا التيار في العصر الحديث.

والموضوع لم يُقْفل بعد، فمازالت أمامنا قضايا كثيرة تحتاج إلى البحث والدرس، عجلنا بهذه الخلاصة لأسباب علمية ومعرفية رجاء أن نعود إلى الموضوع مفصلا على المستويين التاريخي والبنيوي.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

8- فهرس المباحث

الموضوع	الصفحة
1- تقديم	9
2- مقدمة	13
3- النورسي ودواعي تأليف كتاب (الطبيعة)	17
3-1- تجربة النورسي	17
أ- التجربة العلمية	17
ب- التجربة الجهادية	19
3-2- دواعي تأليف كتاب (الطبيعة)	21
4- مستويات التدرج في (الحالة الطبيعية)	26
4-1- المستوى الأول : (الطبيعي) في المرحلة الطبيعية المحضة	26
4-1-1- نقد قولهم : (إن الأشياء أوجدتها السباب)	27
4-1-2 - نقد قولهم : (إن الشيء تشتل بنفسه)	29
أ- نظرية الحركة والثبات	29
ب- نظرية بناء الذات	30
ج- نظرية الكتاب	30
4-1-3- نقد قولهم : (إن الشيء أوجدته الطبيعة	33
4-1-4- نقد قولهم : (صراع الطبيعة)	37
4-2- المستوى الثاني : (الطبيعي) في المرحلة الوسطى	38
4-2-1- الإثنينيون طبيعيون	38

4-2-2- ماذا يضر الوحدانية لو توجه العقل بمدح الأسباب الجزئية؟!	41
4-2-3- ماذا يضر الوحدانية إذا عبدت بعض الأسباب ؟!	43
4-3- المستوى الثالث : (الطبيعي) في مرحلة الإعتقاد	44
4-3-1- عنصر الكثرة	48
4-3-2- (الواحد) هو خالق الكثرة	48
4-3-3 الكثرة هي الموجودات	49
4-3-4 إسناد (الإيجاد) إلى الصانع	49
5- الطبيعة خارج كتاب (الطبيعة)	54
5-1- نقد سببية الطبيعيين	55
5-2- الكل والجزء وصلتهما بـ (الخلق)	59
5-3- (الأنا) و (الحالة الطبيعية)	61
5-4- المتكلمون طبيعيون	63
6- بناء الإنسان عند بديع الزمان	65
6-1 تقديم	65
6-2 تجربة النورسي في الاهتمام بالإنسان	69
6-3- طبقات الإنسان في خطاب النورسي	70
6-4- خطاب النورسي للإنسان : جزءا و كلا	74
6-4-1- الصيغة الجزئية	74
أ- مخاطبة الروح	74
ب- مخاطبة النفس	76
ج- مخاطبة القلب	80
د- مخاطبة العقل	83

6-4-2- الصيغة الكلية 86
6-5- تذكيره للإنسان بالقضايا المصيرية 90
6-5-1- القضايا المصيرية العامة 91
أ- النبوة 91
ب- الكون 91
ج- القرآن (الوحي) 91
د- الفطرة 91
6-5-2- القضايا المصيرية الخاصة 93
أ- الموت 93
ب- المقصد من الوجود 93
ج- التمييز 94
د- التحذير من الشك 94
هـ- الاحتياط من الفخر والغرور 95
و- النظر إلى حقيقة التطور 95
6-5-3- خلاصة 97
7- خاتمة عامة 99
8- فهرس المباحث 100

المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
الداوديات، زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي - مراكش
الهاتف : 19 25 30 044 /LG 47 37 30 044 - الفاكس : 23 37 30 044
البريد الالكتروني : E-mail: wataimpr@iam.net.ma